كمال جنبلاط وفكره السياسي 1917 -1977

Kamal Jumblatt and His Political Thought 1917-1977

م. د محمد سكّير الشمري: تدريسي في قسم المحاسبة، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الأمام جعفر الصادق (ع)، العراق.

Dr. Mohammed Skeer Al-Shammari: Department of Accounting, Faculty of Administrative and Financial Sciences, Imam Ja'afar Al- Sadiq University, Iraq.

Email: Muhammed.seeker@ijsu.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v5i8.1560

تاريخ الاستلام:	2025-06-01	تاريخ القبول:	2025-06-09	تاريخ النشر	2025-08-01

الملخص:

أخرج كمال جنبلاط السياسة اللبنانية، في عهد الانتداب الفرنسي (1943 – 1946)، إلى طور الفكر السياسي الطامح إلى الاستقلال الفلسفي نهجًا وتصورًا، فاتسمت سياسته حتى إعلان تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي، بالبحث عن لغة فلسفية للسياسة تحمل القضية التي سيكرس لها حياته، وهذا ما عمل عليه مع نخبة من المفكرين والمثقفين، فكانت بواكيره الفكرية تتراوح بين المقالة والندوة والمحاضرة، تمهيدًا للتنظير الفلسفي السياسي. كان إيمان كمال جنبلاط بلبنان العربي وجدانًا ومصيرًا مسألة ترقى إلى مستوى اليقين، في فهمه للواقع اللبناني في ضوء التاريخ والاجتماع والثقافة، أدرك الفكر السياسي لجنبلاط بالتجربة وضرورة قبولها كمعطيات تعلو الإرادة المثالية الذاتية، وفكر جنبلاط يأخذ في حسابه التكوين التاريخي الاجتماعي اللبناني الخاص والمتميز بإثنية دينية وثقافية عميقة الجذور. إن مقياس صلاح كل نظام سياسي أو فساده هو مقدرة هذا النظام على إبراز النخبة العقلية، وإن حكم هذه النخبة هو الخير كله ومنازعاتها على هذا الحق هو فوضى الجسد والغرائز، وإن الوعي السياسي لكمال جنبلاط للقضية الفلسطينية كان عميقًا وموصولاً بتفرعاتها على الصعيد العربي. وبالنسبة للصعيد اللبناني، كان يرى أن الصهيونية ستكون من العوامل المعززة للطائفية، والمدمرة للبنية الوطنية اللبنانية، فكر كمال جنبلاط أن تصبح الدولة مدنية، وأن تحل جميع المنظمات والهيئات الطائفية في لبنان وأن تجبر على تكوين نفسها من جديد على أساس وطني لا طائفي.

الكلمات المفتاحية: كمال جنبلاط، فكر السياسي، لبنان، الحزب التقدمي، الحركة الوطنية.

Abstract:

Kamal Jumblatt brought Lebanese politics, during the French Mandate (1943–1946), to the stage of political thought aspiring to philosophical independence in approach and vision. His policy, up until the announcement of the founding of the Progressive Socialist Party, was characterized by the search for a philosophical language for politics that would carry the issue to which he would devote his life. This is what he worked on with an elite group of thinkers and intellectuals. His intellectual beginnings ranged from articles to symposiums and lectures, preparing for political–philosophical theorizing. Kamal Jumblatt's belief in Arab Lebanon, both in conscience and destiny, was a matter that rose to the level of certainty. His understanding of Lebanese reality in light of history, society, and culture shaped his political thought through experience and the necessity of accepting givens that transcend the subjective ideal will. Jumblatt's thought takes into account the special Lebanese social and historical formation, distinguished by its deep-rooted religious and cultural diversity. The measure of the integrity or corruption of any political system is the ability of that system to highlight the intellectual elite. The rule of this elite represents all that is good, while disputes over this right are the chaos of the body and instincts. Kamal Jumblatt's political awareness of the Palestinian issue was profound and connected to its ramifications on the Arab level. Regarding the Lebanese context, he believed that Zionism would be a factor reinforcing sectarianism and destroying the Lebanese national structure. Jumblatt's thought called for the state to become civil, for all sectarian organizations and bodies in Lebanon to be dissolved, and for them to be reconstituted on a national rather than sectarian basis.

Keywords: Kamal Jumblatt, political thought, Lebanon, Progressive Socialist Party, National Movement.

المقدمة:

كتب كمال جنبلاط لأول مرة في مدرسة عينطورة، وبدأ بقراءة الكتب الدينية بدون تمييز، وفي الكنيسة كان يصلي مع الطلاب، وتابع في فرنسا وبيروت دراسته الجامعية، وظهرت بواكيره الفكرية بعد دخوله المجلس النيابي اللبناني، وهو الحكيم والأديب والشاعر والفيلسوف، وحين نكتب فكر جنبلاط السياسي تتجلى لنا الحقيقة الراسخة. أخذ جنبلاط يتوسع في المعرفة من خلال العربية والفرنسية ثم الإنكليزية، ويكتنز من مناهل الثقافات العربية والإسلامية والمسيحية والهندية والفارسية واليونانية والمصرية والأوروبية، فكان يتطلع إلى الأفق ماضيا وحاضرًا، كان موحدًا كما هو حال الصوفيين المنزهين والأدباء والفلاسفة والعلماء، ويختلف عنهم بموسوعيته توحيده بين الناس في كل مجال، فالناس هم ذاته، وهو من ذاتهم، إنها وحدة النور والعقل، فامتاز جنبلاط بهذه الشخصية، التي شهد له عصره بها بأنه شخصية الملتزم الشجاع، الحر المبدع، المستقل المترفع والمتواضع في تعلمه وتعليمه، لم يدع يوما لتعليم أحد، ولكن الناس تعلموا منه واعترفوا له بفضل علمه، وأحبوا أن يخاطبوه بالمعلم. بعد سنة 1943، جاء كمال جنبلاط إلى السياسة راضيًا أو مكرهًا، حين فلسف السياسة، وأضفى عليها من عقلانية المنهج وانتظام التفكير ما أولد جديدًا في السياسة اللبنانية التقليدية، لقد أخرج كمال جنبلاط السياسة اللبنانية في عهد الانتداب الفرنسي (1943 – 1946) إلى طور الفكر السياسي الطامح إلى الاستقلال الفلسفي نهجًا وتصورًا، فاتسمت سياسته حتى إعلان تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي، بالبحث عن لغة فلسفية للسياسة تحمل القضية التي سيكرس لها حياته، وهذا ما عمل عليه مع نخبة من المفكرين والمثقفين، فكانت بواكيره الفكرية تتراوح بين المقالة والندوة والمحاضرة، تمهيدًا للتنظير الفلسفي السياسي في أكثر من معلم بين الديمقراطية والمسألة القومية ونقد الجمود العقائدي، لقد صاغ كمال جنبلاط وطور خلال نتاج فكره السياسي كثيرًا من المطالب الاجتماعية والاقتصادية، فكان يركز في برنامج الإصلاح السياسي، وأعاد النظر في الاقتصاد الوطني اللبناني، ووضع المبادئ الرئيسة لإعادة تنظيم الاقتصاد في المجتمع والدولة، وهذه المبادئ الأساسية تشكل التوجهات السياسية لحزبه والحركة الوطنية اللبنانية، ويعد تعلق جنبلاط بالروح التحررية المنفتحة كمختبر كبير للإرادة العربية ولتحرر الوطن العربي.

نظرا لأهمية شخصية كمال جنبلاط، تم تقسيم الموضوع إلى أربعة مباحث، تناول الأول ولادة كمال جنبلاط وبواكير فكره السياسي، هو وريث تركتين سياسية واجتماعية وسرعان ما أخذ يعي أهمية الاتصال بينهما وترابطهما الجدلي. وتناول المبحث الثاني فكر كمال جنبلاط في تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي، فتجربة الحزب كانت تمثل تطورًا في الحياة السياسية والحزبية اللبنانية، وإن تأليف هذا الحزب مع نخبة من المثقفين اللبنانيين فتح له الطريق إلى كافة البيئات الاجتماعية. وتناول المبحث الثالث الفكر السياسي لكمال جنبلاط، حيث شكل فكر جنبلاط إرثًا إنسانيًا وحضاريًا بامتياز. وتناول المبحث الرابع، فكر كمال جنبلاط في تأسيس وقيادة الحركة الوطنية اللبنانية، حيث كان

جنبلاط زعيما بارزًا ومفكرًا سياسيًا للحركة الوطنية اللبنانية، وقاد هذه الحركة أثناء الحرب الاهلية اللبنانية، وكان له دور محوري في قيادتها، حيث تبنى فكرًا سياسيًا يجمع بين القومية العربية والاشتراكية الديمقراطية، وكان يؤمن بوحدة لبنان الوطنية والمساواة بين الطوائف، ويسعى لتحقيق التوازن الاجتماعي والسياسي في لبنان، وكان من أبرز المدافعين عن القضية الفلسطينية، وله مواقف صلبة في دعم المقاومة ضد الاحتلال.

مشكلة الدراسة:

تسليط الضوء على الفكر السياسي لكمال جنبلاط وتأثيره على الحريات العامة والديمقراطية الشعبية، وبيان الاستراتيجيات التي استخدمها لتحقيق الأهداف السياسية التي كان يدعوا إليها من خلال فكره السياسي، وشكلت شخصية هذا المفكر تأثيرًا كبيرًا في تغيير وإيجاد الحلول للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويمكن من خلال الفكر السياسي لكمال جنبلاط، أن يجمع الفكر والممارسة وإعلانه أسس الاستقلال السياسي على الصعيدين العربي والدولي، والفلسفة لدى جنبلاط تعني أكثر ما يعنيه التفسير الفكري المحض للقضايا الحياتية على تنوعها.

تندرج تحت مشكلة الدراسة مجموعة من التساؤلات على النحو التالي:

1. هل كان للفكر السياسي لجنبلاط تأثير في عدم تمديد ولاية الرئيس بشارة الخوري، سنة 1952؟
2. كان تأثير فكر كمال جنبلاط وأبعاده السياسية في محاولات إلغاء منهج الطائفية في الحكم؟
3. هل كان فكر كمال جنبلاط يدعو إلى بناء مجتمع جديد في لبنان والعالم العربي والدعوة إلى الثورة اللبنانية، والحرية من خلال كتاباته ودراساته وتصريحاته وقصائده الشعرية؟
4. ما هو تأثير فكر كمال جنبلاط في قيادته للحركة الوطنية اللبنانية، ومساندته للقضية الفلسطينية؟

منهجية الدراسة:

انطلاقا من عنوان الدراسة، فهي دراسة تاريخية تبين الفكر السياسي لكمال جنبلاط، وتأثرت بالأحداث الإقليمية العربية والدولية، وتم اتباع سياسة لإعداد الدراسة بشكل ينسجم مع أهداف المنهج التاريخي والتحليلي للأحداث التي كانت مؤثرة بظهور الفكر السياسي لكمال جنبلاط في التاريخ اللبناني المعاصر.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح تأثير الفكر السياسي لكمال جنبلاط في الأوضاع السياسية اللبنانية والمتغيرات للأحداث والصراعات السياسية في لبنان، وبيان نظرته إلى الثورة التي أرادها بفكره السياسي أن تكون شاملة تعصف رياحها داخل الذات الإنسانية، فكر جنبلاط لا يقتصر على استبدال أفراد أو

نظم، وإنما تدفن الإنسان التقليدي الغرائزي القديم، وتبعث الإنسان الاشتراكي الجديد، وتنقل العلاقة البشرية من مستوى الأنانية الفردية السائدة إلى مستوى الأخوة الإنسانية الجامعة.

المبحث الأول: ولادته وبواكير فكره السياسي

ولد كمال جنبلاط في بلدة المختارة قضاء الشوف في السادس من كانون الأول سنة 1917، تلقى علومه الأولية في المختارة، ثم تلقى دروسه بمختلف مراحلها في مدرسة عينطورة للآباء اللعازاريين في كسروان، وأتقن اللغة الفرنسية، وانتقل إلى باريس سنة 1937، ودرس في جامعة السوربون فأحرز منها شهادتين، الأولى في علم الاجتماع، والثانية في علم النفس التربوي. عاد إلى بيروت وأكمل دراسة الحقوق في الجامعة اليسوعية، مارس بعدها المحاماة لمدة سنة واحدة في مكتب إميل إده سنة 1942. لم يكن كمال جنبلاط يحب السياسة ولا يميل إليها، فانصرف إلى الاهتمام في الحقل الصناعي، فأنشأ في بلدة سبلين معملاً لإنتاج القطران والأسيد. كانت سياسة البيت الجنبلاطي بيد والدة كمال جنبلاط، الست نظيرة، التي قامت بدور سياسي بارز بعد اغتيال زوجها فؤاد، ووفاة صهره حكمت جنبلاط سنة 1943، فانتخب كمال جنبلاط نائبًا عن الشوف سنة 1943، وأعيد انتخابه نائبًا عن الشوف في دورات 1947، 1951، 1953، 1960، 1964، 1968، 1972، وبقي نائبًا بحكم قوانين التمديد للمجلس النيابي اللبناني، حتى تاريخ اغتياله (ظاهر و غنام، 2007، 125).

ولد وعاش كمال جنبلاط على الذروة، وبنى هيكله الذي يتعبد فيه للحق والحقيقة، ويستلهم الضمير، ويتأمل ويفكر ويقول، ويبث آراءه ويدعو أهل الصفاء والنقاء وينادي المتعبين والمظلومين، ومنكوبي الفساد الاجتماعي، إلى الإخلاص والتوافق، والإيمان بالنفس، والثقة بانتصار محتوم (ابو مصلح، 1984، 47).

وضح كمال جنبلاط أن أساس "عقيدة الدروز" قائمة على طلب الحكمة، فليس سوى الطالبين بمستطيعين قراءة الكتب المقدسة التي تسمى "كتب الحكمة" بأنها امتداد للمدارس الهرمسية اليونانية أو المصرية، مدارس السنة الباطنية، التي انتقلت إلى التصوف الإسلامي، وفي أيامنا هذه فإنه ليس الدرزي الذي عرف الرسالة في حياة سالفة أن يتلقاها، وهذا إذا كان أهلا لذلك، إن الدروز أصحاب المذهب التوحيدي، الذين يشبهون الهنود من أصحاب كتاب "الفيدا" منتشرون تحت تسميات أخرى في كافة الأديان (جنبلاط، 1978، 50).

يؤكد كمال جنبلاط، بأنه ليس رئيسًا دينيًا بالمعنى المتعارف عليه لهذه الكلمة، لكن دراستنا للمذهب الدرزي كانت من الكفاية بحيث تتيح لنا الشروع في عمل تحليلي، والحق هو أننا فهمنا هذا المذهب على هدى تعاليم "الفيدانتا أدفيتا الهندوكية والفلسفة اليونانية"، اللتين أتاحتا لنا اكتشاف مفاتيح

الأسرار الدرزية، ذلك أن العرفان الدرزي هو ذات العرفان (الغنوصية)، الذي تجده في كل مكان من العالم والذي تجده لدى كبار حكماء الهند وحكماء "الأوائل"، ثم إن معارفنا هذه تعطينا ضربًا من السلطة الروحية لا الدينية، وهكذا إن المشايخ والطالبين يفدون لرؤيتنا، نصلي معًا ونقوم في بعض التأملات معًا أحيانًا، فنقرأ لهم من "أحاجي" فكر الأدفيتا لهندوكي القديم الذي جرى استخلاصه بطريقة دقيقة عبر العصور، ونفسر لهم الأفكار الأساسية في هذا التيار الروحاني، الإنساني والتاريخي، وإنها لقراءة يسمو بها طالبونا، حيث تلقى الباحث هذا التعليم في الهند على يد حكيم كبير كان بمثابة "سقراط وفيثاغورس" (جنبلاط، 1978، 50).

إن التاريخ لدى كمال جنبلاط، كما عند هيجل، وكافة الأديان والفلسفات التفاؤلية الأوروبية، يسيره الوعي، ويوضع في خدمة الوعي وبلورته، وليست الأنظمة الاجتماعية والأخلاقية والروحية إلا تجليات العقل الكلي في الوجود الظاهر، "جوهر التاريخ هو التقدم والاكتمال"، كما يقول (هيجل)، وجنبلاط هو استمرار لهذا المسار التفاؤلي في الفكر الغربي. والتقدمية عند جنبلاط مفهوم لا ينفصل عن وعي أهداف التطور وغاياته، والعقل الهيجلي – الجنبلاطي، ليس هو العقل الميتافيزيقي الديني، وإنما الجوهر العقلي للدين مجردًا من الميتافيزيقيا، "الفكر أو الوعي أولا ثم يجيء الفعل في نهاية الفكر"، كما يقول جنبلاط مستعيدًا "أرسطو" في مقدمته لميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي (فراج، 1977، 9–10).

إن شخصية كمال جنبلاط الثروة التي طالما حوصرت في أذهان العامة، والخاصة المثقفة، ضمن إطار العمل السياسي، الحزبي والنيابي، أكثر ما وجهت في الفكر السياسي يتطلب ذلك في غواية التبويب وعفويته، وبخاصة التبويب الثنائي، اليسار لا اليمين، التقدمية لا الرجعية، الاشتراكية لا الرأسمالية، إلا إن هذا الوجه السياسي على أهمية ليس أكثر من مظهر، سهل الاصطياد، فالمصدر والرأي هو الذي يعطي للسياسة ولواحقها معنى وقيمة، وهذا المصدر وهذا البعد أو العمق، طالما أسيء تقديره، إما عن طريق الإهمال التام، أو بالإشارات السريعة، الأمر الذي آل إلى تحويل الرجل إلى مجرد نموذج من الساسة اللبنانيين المميزين وهم قله نادرة، وغالبا جرى هكذا اختزال لكمال جنبلاط، وتقسيم وحدته، ما يتنافى تمامًا ومعتقده التوحيدي الذي كرس حياته لإبرازه في كل مواقفه النظرية والعلمية والسياسية على السواء (سيف، 1999، 119).

إن القراءة لمفهوم الحرية في مؤلفات كمال جنبلاط لا تلغي قراءة تاريخية لها تتجاوز نصوصه المكتوبة، قراءة للحرية كمسلك تنقبض جوانبه، وتتسع بموازاة حراك التاريخ الذي انخرط فيه جنبلاط لبنانيًا وعربيًا ودوليًا، وثقافيًا وروحيًا وبمستويات مختلفة، هذا التاريخ الذي صقل مفهومه للحرية، وشذبه، وعدل فيه ، واستبدل بعض جوانبه وأرسى غيرها مكانها، موضوع الحرية يستحوذ على أهمية مميزة ومركزية ضمن النظام الفكري لمعظم كتابات كمال جنبلاط، مفهوم الحرية في الماركسية،

والسوريالية، والوجودية، وشعارات الثورة الفرنسية، إن هذا التراث الفكري العالمي عايشه جنبلاط، وتعمق فيه وتفاعل معه رفضًا وقبولاً ودائما بشكل جزئي من زاوية رصينة خاصة (سيف، 1999، 120-122).

إن كلمة جنبلاط تنحدر من أصل تركي ، وتتألف من لفظين (جان) و(بولاد)، معناها الجامع "روح الفولاذ"، وهذا يعني أن الانتساب إلى هذه الأسرة يشير إلى انتماء لبطولات روحية وفولاذية، إن جان بولاد سيلفظ جنبلاط في لبنان تكيفًا مع اللفظ العربي، هو البطل الشجاع والإشكالي، فالشجاعة في تاريخ القبائل الشرقية ليست ظاهرة فردية وحسب، وإنما هي بوجه خاص نتاج تماسك الجماعة في ميادين العمل والأداء، وسواء أصل بني جانبولاد تركيًا أو كرديًا، فمن الثابت أن كمال جنبلاط يرتقي إلى أسرة جانبولاد في معرة النعمان سوريا. حيث قام العثمانيون بإنهاء ولاية علي باشا جانبولاد، وبعد انهيار جبهة بني جنبولاد وتراجعهم نحو حلب، انتهى الأمر بهزيمة بني جانبولاد، وبعد مجزرة حلب، بحث الناجون من بني جانبولاد عن مكان آمن لدى الأمير فخر الدين الثاني في جبل لبنان (خليل، 1984، 221-224).

في لبنان، كان بنو جنبلاط بين أوائل من أنشأوا أحزابًا سياسية على مدى يشمل كافة مناطق البلاد من شمالها إلى جنوبها، وكان المتحزبون يدعون جنبلاطيين، وفي مواجهتهم كان هناك اليزبكيون، وهم حزب آخر ترأسه بنو عماد الدين الذين كانوا يقطنون الباروك، وقبل الجنبلاطيين واليزبكيين، كان هناك الأمراء الدروز من معنيين وتنوخيين ومتحزبين من القيسيين واليمنيين، إن المرء يجد بين الدروز أناسًا ليبرالي العقلية فخورين في الوقت ذاته بطائفتهم وبميراثهم الديني والثقافي والسياسي، من دون أن يورثهم ذلك الشوفينية أو التعصب، فطالما عرف الدروز عبر التاريخ بعقليتهم الليبرالية (جنبلاط، 1978، 44-45).

كان كمال جنبلاط مختلفًا مع والدته نظيرة جنبلاط (1890 – 1951)، ليس حول السياسة بذاتها بل حول غاية السياسة، فقد كان جنبلاط منفتحًا على الأديان كافة، وكانت والدته تشكو من امتناعه في الخوض في غمار السياسة، لميوله العلمية، بل حياته الروحية كانت تدفعه على الدراسة والابتعاد عن السياسة، وكان جنبلاط فذًا في شخصيته بشهادة معاصريه، فكان خلال شبابه يطور نظرته إلى الأمور، مراقبا علاقاته الداخلية والخارجية، وكانت تجربته الجماعية الأولى قد دارت في مدرسة عينطورة، حيث قاد زمرة من الطلاب الشبان الذين سيصبحون قادة في حزب جنبلاط الجديد، وفي تلك التجربة كانت تتجلى السمات المميزة لفتى مثقف، قائد زمرة، حصل في حزيران 1928، الشهادة الابتدائية، وانتسب إلى كشاف معهد عينطورة (1934 – 1937)، ونال شهادة كشاف، وأصبح عضوا فاعلا في مؤسسة الكشاف الفرنسي، وعلى الصعيد الدراسي نال درجة الامتياز بالفرنسية، والجغرافيا والقواعد والقراءة والحساب والرسم والتاريخ والخط بالعربية والترجمة والعلوم

الطبيعية والهندسة، وفي العام (1935 – 1936)، نال شهادة البكالوريا بقسميها اللبناني والفرنسي، وخلال ذلك أنشأ مجلة بالفرنسية أطلق عليها اسم (La REVUE) مشاركا مع زملائه كميل أبو صوان وأنطوان بارود وإميل طربية (خليل، 1984، 61–62).

كانت نظيرة جنبلاط تكن لولديها كمال وليندا، كل المحبة وتحيطهما بكل الحنان وتغمرهما بكل العاطفة، فغدت بالنسبة إليهما بعد مقتل والدهما، الأب والأم في الوقت عينه، فسهرت على تربيتهما وتعليمهما والاهتمام بهما، وهي اهتمت بولدها كمال اهتماما خاصًا، وجيرت إمكانياتها وطاقاتها لتوفير الظروف المناسبة التي تضمن له الراحة والأمان والحياة الرغيدة، عمدت على توفير المكان الأنسب ليتلقى فيه التعليم النظامي في المرحلة قبل الجامعية، فأقنعها المطران (أوغسطينوس البستاني)، بإدخاله إلى مدرسة الآباء الليعازريين في عينطورة، بعدما كانت ترغب في إدخاله إلى إحدى المدارس اليسوعية في بيروت، فراسلت مدير المدرسة الأب (آرنست سارلوت)، صديق العائلة الجنبلاطية، في بداية العام الدراسي لاستقبال وحيدها بين تلاميذ المدرسة, لقد كانت زعيمة المختارة نظيرة جنبلاط قلقة جدًا من تجاهل كمال الشاب العمل السياسي، وابتعاده عن الاهتمامات السياسية وعدم رغبته مستقبلاً في لعب أي دور سياسي، ولعل هذا المنحى كان بالنسبة إليها انتكاسا لكل ما عملته، وتخليا عن كل الأحلام والآمال التي رسمتها وعملت من أجل تحقيقها نظيرة جنبلاط، وبالتالي تراجعًا عن الهدف الذي وضعته نصب عينيها عندما بدأت مسيرتها السياسية، وسعت إليه وصممت أن يكون ابنها الوريث لزعامة العائلة وزعامة (الغرضية) الجنبلاطية، ليستعيد من موقع الزعامة دور الأجداد ويحافظ على الإرث العريق للعائلة (اشتي، 2015، 221–224).

أما رغبة الابن وميوله للطب والبحث العلمي، برأي والدته، تنكر لكل الآلام التي تحملتها والمصائب التي واجهتها، وتناقضًا مع ما هدفت إليه، ففي ردها على رسائل جميل الشهال (قاضي حاكمية صلح الشوف) الذي كان يطمئن عن توجهات كمال جنبلاط العلمية، تبينت أنها ترغب في أن يدرس الحقوق، وتشير نظيرة جنبلاط إلى تحقيق هذه الرغبة، فتحدثت مع رئيس مدرسة عينطورة لإقناعه، وكلفت بعض الأصدقاء للقيام بالمسعى ذاته، ولم تكتفِ بهذا القدر من الضغط، بل عمدت إلى الاستعانة، مرة أخرى بصديق العائلة (المطران البستاني) لإقناع كمال بأهمية المحاماة، كونها النافذة التي تفتح أمامه أبواب السياسة وتساعده على الارتقاء في دروبها، والمحافظة على المكانة التي تليق به منذ ولادته، وتعزز بالتالي موقعه الاجتماعي وتحميه، أستجاب الابن أخيرًا لمجمل الضغوطات التي هدفت إلى تحويل ميوله العلمية، وسافر كمال جنبلاط إلى فرنسا للالتحاق بكلية الحقوق في جامعة السوربون (اشتي، 2015، 218–219).

توجد إسهامات غنية جدًا في تقديم وصف وضعي للمشكلة اللبنانية عند عدد من مثقفي اليمين اللبناني، الذين تأثر بهم كمال جنبلاط في مراحل معينة من فكره حتى عام 1957، على رأس هؤلاء

المثقفين ميشال شيحا، الذي أبدى كمال جنبلاط إعجابه به في غير موضع من كتاباته، متأثرا به في مجمل محاضراته في "الندوة اللبنانية"، بدءًا من المحاضرة الأولى "رسالتي كنائب" سنة 1946، إلى محاضرة "لبنان في واقعة ومرتجاه" سنة 1956، وهي المحاضرة الرئيسية لـ"الأيديولوجيا اللبنانية". كما تأثر جنبلاط متأثرا بفكرة شيحا عن الميثاق الوطني، أو ما يُعرف بالطائفية البناءة (سماحة، 1977، 83).

لدى كمال جنبلاط مطلب الحياة العميق، مطلب جميع الكائنات الحية، هو الحرية والسعادة والوجود، أي الحياة الحقيقية تكون الحرية فيها هنا ليست هدفًا، ومطلبًا خاصًا بالإنسان وحده، بل هي مطلب جميع الكائنات الحية، الحيوان والنبات، كما الإنسان، وهذه الحرية ليست أيضًا المطلب الأوحد لجميع الكائنات الحية، وليست مركز استقطاب أساسي ووحيد لها، بل هي متلازمة مع السعادة والوجود، الحرية والسعادة والوجود، أي انعدام الزوال، الموت، وتشكل المحرك الصميم والدافع الأصيل لجميع أنشطة الإنسان (جنبلاط، فيما يتعدى الحرف، 1978، 108).

كمال جنبلاط، قضى حياته وجهاده يعلم أن مسألة الحرية لا حل لها خارج نصرة الحق وانتصار الحقيقة، وهو أيضًا السياسي الذي معظم اللبنانيين يتفقون عليه، هو القائد المسؤول، الشخصية البطولية، التي تستوجب فهما صحيحًا، علميًا وموضوعيًا (جنبلاط، ولادة طفل، 1965).

ويذكر في كتابه "هذه وصيتي": "أنا درزي وتتصل أرومتنا اللبنانية بالمختارة، تلك القرية الشوفية الصغيرة التي يقع فيها قصر عائلتنا، وغالبا ما أسمى أنا هنا بسيد المختارة، أن معنى كل حياة هو أن يكون المرء سيد نفسه، والمختارة هي مقر تم بناؤه على مراحل عبر مئتين وخمسين سنة من التاريخ، فقد حل أجدادنا الذين هبطوا من شمال سوريا أول ما حلوا في مزرعة الشوف لاجئين في مغارة صغيرة، حدث ذلك بعيد قيام أحد أجدادنا وهو الأمير جانبولاد، بإنشاء إمارة كبيرة شمال سوريا تشمل حمص وحماة وحلب ودمشق وجزءًا من تركيا الأناضول" (جنبلاط، هذه وصيتي، 1978، 40).

وينطلق كمال جنبلاط القائد السياسي، من هذا التحليل المتكامل لقضايا الإنسان والكون والوجود، والتغيير الحاصل في كل ثانية ينطلق منه، وهنا إحدى دلائل العظمة، إلى طرح المهمات النضالية لبناء القوة المنظمة القادرة على إحداث التغيير الاجتماعي الاقتصادي السياسي المطلوب، فيقول: "فالتطور هو مجرى الخلق ذاته ومعراجه فينا، وهذه الانطلاقة كان لا بد منها لتأصيل وتثبيت جذور معرفة العقيدة التقدمية الاشتراكية في نفوسنا، إن إيمان القائد كمال جنبلاط بحتمية التغيير، في لبنان وفي الكون كله، هو الذي يدفعه إلى هذا اللامبالاة بالموت، باعتبار أن الجسم وحده يموت أما حقيقة الوجود فهي باقية (مجلة الاخبار اللبنانية، 1973).

كمال جنبلاط هو من أبرز الذين درسوا الفكر المسيحي وتعمقوا به، اتصاله بالفكر المسيحي بدأ منذ دراسته في مدرسة عينطورة، حيث كان يتحايل على الأنظمة الداخلية فيسهر على ضوء شمعة بعد انطفاء الأنوار، ويطالع في ميادين علمية وفلسفية ودينية عديدة من بينها اللاهوت، ثم تطورت في دراساته الخاصة واحتكاكه المباشر بالمفكرين المسيحيين في فرنسا وغيرها، وقد أصبح طرفًا من أطراف الفكر المسيحي وجزءًا من صراعاته الداخلية، فإعجاب جنبلاط بالقديس توما الاكويني وتحزبه لصالح (تيلاردي شاردان)، وحماسته لأفكار البابا يوحنا الثالث والعشرين، ليست سوى نماذج تشير إلى جوانب معينة من الفكر المسيحي كانت بين المؤثرات الأساسية على فكره وتكوينه، وعنصرًا من عناصر العلاقة الأشمل التي جعلته يتأثر بالثقافة الغربية المتأثرة بدورها بالفكر المسيحي، هذه الثقافة المنفتحة المستندة إلى العلم، والتي تعتبر أن العقل هو السيد، والتي تحاول عند كمال جنبلاط أن لا تجد تناقضًا بين العقل والإيمان، حيث الإيمان عنده يتخطى القشور والشكليات ويبتعد عن الصنمية والطقوس لينفذ إلى جوهر الطبيعة وأسرارها ووحدتها (نبيل، 1987، 87-88).

بدأت عائلة جنبلاط بحكم لبنان في أيام الأمير فخر الدين ثم راحت تزداد بعد ذلك قوة على قوة، وانطلاقا من عهد الأمراء الشهابيين، بدأ الجنبلاطيون الخوض في غمار السياسة اللبنانية بصورة نشطة وهكذا لعب الدروز، عبر الجنبلاطيين وبعض العائلات الأخرى، دورا رئيسيا في تكوين استخلاص الفكرة اللبنانية، إذ الواقع هو أن هذه الفكرة وهذا النزوع إلى الاستقلال إنما هو عمل الدروز (جنبلاط، هذه وصيتي، 1978، 41-42).

عندما انتخب كمال جنبلاط في 21 سبتمبر (أيلول) 1943م نائبا للمرة الأولى عن جبل لبنان، ومع ذلك لم يكن قد توصل بعد إلى منهج سياسي خاص به، ويذكر بشارة الخوري في مذكراته أن كمال جنبلاط غاب عن جلسة مجلس النواب اللبناني التي جرى فيها انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيسًا للجمهورية اللبنانية، فيعلل ذلك بكون السلطات الفرنسية منعت حكمت جنبلاط، ومن بعده كمال جنبلاط من التعاون الانتخابي مع الكتلة الدستورية التي يتزعمها بشارة الخوري (الخوري، 1960، 200-201).

ويقول كمال جنبلاط: "وإذ يتهمني بعضهم بموالاة مفرطة لفرنسا، فإن في ذلك بعض الصحة، لكني أقدر أيضا الإنجليز، كما أقدر بصورة عامة الشعوب التي تنسجم وتمتثل إلى دافعها الروحي، وبما يشكل فعلاً سياقها القومي والمعنوي" (جنبلاط، هذه وصيتي، 1978، 25).

من مكونات الزعامة الجنبلاطية التي أدخلها كمال جنبلاط عليها، أنه جامعٌ لمزايا العائلة ووارثٌ للزعامة الجنبلاطية في سياسة جبل لبنان التقليدية. ويستعرض يوسف السودا موقع هذه الزعامة في سياسة جبل لبنان التقليدية بقوله: "أيام كان بنو جنبلاط وبنو الخازن يبرمون بينهم معاهدة حزبية،

كانوا يقولون فيها: "كل شيء مشترك بين الفريقين إلا ثلاثة: العرض والسيف والفرس" (السودا، 1966، 76)

كان كمال جنبلاط وريث ماضٍ سياسي معقد، زاخر بالمذاهب، والمناهج السياسية، فاتخذ منها منهجًا خاصًا به. وقد عارض السلطة مرتين: الأولى سنة 1943، حين رفض التعاون الانتخابي مع الكتلة الدستورية، والثانية عندما تغيب منطقيًا عن انتخابات الرئاسة اللبنانية، ومن التبسيط الشديد حصر معارضة كمال جنبلاط إما في تحريض فرنسي، وإما في اختيار شخصي محض. فقد كانت مسألة معرفة السلطة وتمثلها تشكل إشكالية لدى الزعيم الجنبلاطي الشاب، الذي كان يدرك دلالة التحالف الماروني – السني في رأس السلطة، ذلك التحالف الذي كان يهمل دور الجماعة الدرزية في الجمهورية اللبنانية التي كانت على وشك نيل استقلالها السياسي المعلن في 22 تشرين الثاني (نوفمبر) 1943. ولذلك يمكن القول إنه كان يبحث مع زعماء موارنة لمواجهة نظام التحالف الجديد (يوسف، 1977، 38).

بويع بالزعامة كمال جنبلاط بعد وفاة ابن عمه حكمت جنبلاط نائب جبل لبنان، وكان عمره (25) سنة، وفاز في الانتخابات النيابية لمجلس النواب اللبناني سنة 1943، وانخرط في السياسة، وفي أول خطاب له في مجلس النواب أكد تأييده لتحقيق الاستقلال التام للبنان، وأشاد بموقف الحكومة الذي يربط بين استقلال لبنان وإعلان عروبته، بدأ يتابع أعمال الحكومات المتعاقبة في لبنان في مجال التنمية والإصلاح، وبسبب القصور وعدم الاهتمام في تلبية مطالب الشعب، انتقل من صفوف الموالاة إلى المعارضة، وفي سنة 1943، وقع مع بعض الشخصيات المرموقة ذات النفوذ السياسي والاجتماعي عريضة تطالب رئيس الجمهورية بتشكيل حكومة من الأشخاص يشار إليهم بالنزاهة والكفاءة والمحافظة على الاستقلال التام الذي غدا معرضًا للضياع (جوعيه، 2025).

في أواخر سنة 1946، تشكلت حكومة جديدة عهد فيها إلى كمال جنبلاط بوزارة الاقتصاد الوطني والزراعة والشؤون الاجتماعية، وهذه المرة الأولى التي يدخل فيها جنبلاط الوزارة، فأثبت للجميع أثناء ممارسته مهامه على كفاءة ونزاهة كبيرة، وشن حربا على الفساد والرشوة في الوظيفة، ولاحقهم بنفسه متنكرًا ويذهب خفية لمراقبة موظفي وزارته، ولكن الفساد كان منتشرًا ومن الصعب معالجته بهذا الأسلوب، واتضح له عمق المعضلة وتوغل الفساد في الأجهزة الإدارية والحكومية للدولة، فأعلن استقالته من الحكم، فانفجر الوضع وتوتر بينه وبين رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، واستمر الخلاف قائما بينهما على أشده حتى الإطاحة برئيس الجمهورية على إثر مهرجان دير القمر التاريخي الذي تمخض عنه اتخاذ قرار بذلك، وكان كمال جنبلاط المحرك الرئيسي والفعال لتحقيق ذلك الأمر (جوعيه، 2025).

المبحث الثاني: الفكر السياسي لكمال جنبلاط في تأسيس الحزب الاشتراكي التقدمي

كتب كمال جنبلاط في مقالته في جريدة (صوت الأحرار)، لم تقم حتى الساعة في صلب الشعب اللبناني حركة سياسية واجتماعية شاملة وعميقة من حيث نظرتها الفلسفية للوجود، تهدف من جهة إلى إذاعة الأسس الفكرية الصحيحة للإصلاح المنشود وجعل الشعب بأسره يعتنقها ويعمل على تحقيقها، وتسعى من جهة أخرى إلى تنظيم الجماهير وتعبئتها واستعمال سيطرتها وقوتها الاجتماعية بغية تسلم المقادير الأولى في الدولة وإقامة سلطة قوية تنفذ الإصلاح وتفرضه، لأن الإصلاح يفرض في النهاية (جريدة الاحرار، 1947).

إن الحزب التقدمي الاشتراكي الذي تأسس في الأول من أيار 1949، كان العمل الحزبي هاجسا دائما عند كمال جنبلاط منذ بداية نشاطه السياسي، الا أن هذا الهاجس الشخصي لم يتحول إلى عمل جدي إلا في سنة 1946، حيث بدء مرحلة التأسيس التي استمرت إلى أيار 1949، وأثبت الحزب حضورًا في السياسة اللبنانية والعربية معًا، وكان لشخصية المؤسس كمال جنبلاط، وفكره السياسي وزعامته أثر كبير في اتساع قاعدة الحزب. إن مبادئ الحزب هي مبادئ ديمقراطية علمانية ذات طابع إنساني، فضلا عن تاريخ الزعامة الجنبلاطية، التي تخطت إطارها الدرزي في جبل لبنان إلى آفاق أكثر رحابة، شملت لبنان كله، فكانت زعامة عابرة للطوائف (الحزب التقدمي الاشتراكي، 2008، 2).

إن السياسة والتصوف هما الفكرتان الرئيسيتان اللتان تؤلفان الإشكالية الجنبلاطية في ميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي، الموضوع ما بين السنوات، 1947و 1948، والمعلن في الأول من أيار 1949، فهذا الميثاق يشير الى أهمية "التصوف" في حياة المناضلين الحزبيين، بوصفه تصوفا أخلاقيًا، قوامه التجرد والتنزه عن الغرضية والتعاون الكفاحي مع الآخرين، تأسس الحزب التقدمي الاشتراكي، في 17 آذار (مارس) 1949، وأعلن ميثاقه في الأول من (مايو) 1949، وكان من الرفاق المؤسسين للحزب، هم (كمال جنبلاط ، الشيخ عبد الله العلايلي، جان نفاع، جورج فيليبدس، فؤاد رزق، البير أديب، جميل صوايا، وفريد جبران)، كانت خيارات كمال جنبلاط قد أخذت تتوضح نسبيًا من خلال ثلاثة أفكار (الديمقراطية، العروبة، الاشتراكية)، وكانت فكرة العروبة مدار جدالات طويلة ما بين سنة 1940 – 1950، وكان من البداهة أن تسير الديمقراطية والاشتراكية جنبا إلى جنب في منظومة جنبلاط الفكرية، فكانت الآلة السياسية الجنبلاطية تنطلق من هذين الركنين لتعبئة الجماهير اللبنانية، وفي الحقيقة يفسر هذا الموقف الفكري – السياسي تجاه جنبلاط إلى تأييد الحريات السياسية والدفاع عنها سواء كانت حريات حزبية تقدمية أو حريات منافسة من اليمين والوسط أو اليسار، وعلى سبيل المثال دفاع كمال جنبلاط عن قضية المعتقلين الشيوعيين (جريدة البيرق، 1948، 1).

يتبنى الحزب التقدمي الاشتراكي بمقتضى ميثاقه، نظرية في القومية تتنكر لكل فكرة تقوم على القوة واستثارة كبرياء الفرد والجماعة لبناء أمة نزعتها الانكماش على ذاتها والعصبية المفرقة والحقود، والاتساع على حساب غيرها من الجماعات، وسبب تنكر الحزب لمثل هذه القومية، كونها منبثقة عن فكرة أنانية ومستمدة من مصالح الرأسمالية، حيث يتبنى الحزب في سياسته الداخلية نظرية الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، المناقضة لنظرية الرأسمالية الفردية، ويعتمد النظام التعاوني في الإنتاج والاستهلاك وعلى تأميم جميع المؤسسات التي لها صفة عمومية، وتبنى الحزب شعارات سياسة واضحة، الملكية وظيفة اجتماعية وليست امتيازا فرديا، الاشتراكية لا تتحقق إلا في القضاء على فكرة العمل لأجل الربح، لا طبقية ولا إقطاعية، الاشتراكية هي إشراك المواطنين العادل في ملكية الثروة وفي ريعها، وعلى الصعيد النظري توضح المفهوم الوطني انطلاقا من هذا المفهوم الإنساني للملكية، فطرح الحزب شعار (لبنان وطن نفديه لا ملجأ نرتضيه)، كما حدد القوى الشعبية التي يرتكز إليها الحزب ويتكون منها نضاله، عماد الوطنية والنضال، الفلاحون والمثقفون والعمال، لا وحدة وطنية في ظل التعصب والطائفية السياسية والرأسمالية المحتكرة (شرورو، 1981، 80-81).

يؤكد كمال جنبلاط أن ميثاق 1943، كان ميثاقًا طائفيًا، وأن اللذين يدعون إلى وضع ميثاق جديد يقصدون ميثاقًا طائفيًا آخر، في وقت فيه مطلوب وضع ميثاق وطني حقيقي تقدمي يجعل من الشعب اللبناني وحدة اجتماعية كاملة ويتعدى التجزئة الطائفية وينشئ الدولة العلمانية، كما ينشد الحزب التقدمي الاشتراكي السلام العالمي، ويؤيد التعاون الوثيق مع الدول العربية، ويخوض ميثاق الحزب في السياسة الداخلية والمجتمع والعناية الصحية والاقتصاد والمالية والصحافة، ويتحدث كمال جنبلاط عن الحزب الاشتراكي التقدمي، حيث يقول: "أعلنت ولادة الحزب في الأول من أيار سنة 1949، ولقد ساهم الحزب في جميع التظاهرات والمطالب الشعبية، وكان العنصر الرئيسي للانتفاضة الشعبية سنة 1952، فواجه هذا الحزب السجون والاضطهاد واستشهد عشرات الأعضاء من أجل الدفاع عن لبنان ونشر الفكر التقدمي الاشتراكي وتوعية الجماهير، وفي توعية الانتخابات النيابية، وفي التمهيد للحركات الثورية وفي تزعمها أحياناً (السباعي، 1970، 33-34).

يعمل الحزب على تحرير لبنان من رواسب النفوذ الأجنبي بمختلف صوره وخاصة فيما يتصل بالثقافة وعلى تعريب هذا البلد انسجاما مع تاريخه وواقعه، والاستمرار في سياسة التحرر العربي في الحقلين الداخلي والخارجي، يتبنى الحزب سياسة خارجية مستندة إلى تطور العلاقات الفعلية، ويتبنى الحزب مبدأ الحياد السياسي والتعاون الإيجابي، لأجل الحفاظ على السلم وتقوية أواصر التعاون العربي ومناهضة الاستعمار القديم والجديد وتقويضه، والتضامن مع البلدان التي تتبنى نهج التحرر في سياستها الخارجية ذاتها. إن شخصية كمال جنبلاط لها الدور الأول في تأليف أحزاب الحركة الوطنية، وكان له ولحزبه الدور البارز في تحويل هذا التآلف إلى إطار سياسي له مجلس مركزي

ولجنة تنفيذية ومكاتب عسكرية ومالية وإعلامية، وكان لكمال جنبلاط دور بارز وأساسي في التأطير السياسي للحركة الوطنية، ليس بصفته الرئيس الأول لهذه الحركة بل بكونه العامل الأول الذي كان لمساهمته في تشكيل هذا الإطار أكبر الأثر على مسار الحركة الوطنية في مواجهة مرحلة الحرب وما بعدها (السباعي، 1970، 82-84).

كمال جنبلاط باعتباره واحدا من القادة العرب القلائل الذين أقدموا على نقد ذاتي خلال ممارستهم السياسية، فإن القائد التقدمي الحزبي هو في المقام الأول جدلي وناشط وفاعل سياسي اجتماعي، وهو في المقام الثاني مدبر يمضي بفكره السياسي حتى النهاية، ويتكشف خلالها قائدًا مرشدًا (معلما)، قادرًا على الفصل والحل والتقرير في كل المسائل المطروحة والمعاد طرحها (جنبلاط، ربع قرن من النضال في لبنان، 1987، 11).

لم يكتفِ كمال جنبلاط بإعلان أسس استقلاله السياسي على الصعيدين العربي والدولي، بل راح يبرز الأهمية التي يمثلها الحياد، بالنسبة للقومية العربية، فبين الفوارق الفلسفية السياسية بين أيديولوجية الاشتراكية التقدمية ذات الطابع الديمقراطي، والثنائي الرأسمالي والشيوعي، ويعبر ميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي، أو بيانه، عن خصوصية الأيديولوجية الجنبلاطية ومواقفها من الأيديولوجية الرأسمالية المبالغة في هيمنة الفرد ورأس المال، والأيديولوجيا الشيوعية المطالبة في حقوق الجماعات الطبقية (خليل، 1984، 122).

كان كمال جنبلاط زعيمًا لبنانيًا عابرًا للطوائف والمذاهب، وتمكن من الوصول إلى كافة وشائح النسيج اللبناني، وقبل أن تندلع الحرب الأهلية تأطر الزعماء داخل مجتمعاتهم الطائفية، وتمكن زعيم المختارة من استقطاب نخب ومفكرين وجماهير من كافة الشرائح المذهبية، وكان جنبلاط زعيمًا وطنيًّا، تمتع بشخصية استثنائية وكان له حضوره في تاريخ لبنان المعاصر، لبنانيًّا وعربيًّا، وكان فكره السياسي مقبولاً من قبل أطياف المجتمع اللبناني، كان لبنان مقسوما حينها بين شريحتين، الأولى ذات بعد عربي كانت مؤيدة للطروحات العربية ومشروع جمال عبد الناصر، وانتمت غالبية هذه الشريحة إلى المجتمع الإسلامي، فكانت أفكار كمال جنبلاط العروبية الداعمة للقضية الفلسطينية، وكانت الشريحة الثانية تؤمن بالفكرة اللبنانية وتؤيد الاستقلال اللبناني، وترفض مشاريع الاندماج بسوريا، وتضم لبنان من كافة الأطياف وفي طليعتهم المسيحيون، وتمكن كمال جنبلاط من خلال إيمانه برسالة لبنان التعددية والديمقراطية ورفضه "السجن الكبير"، كما أسماه، أي الذوبان اللبناني في سوريا (صحيفة النهار العربي، 2025).

كان الفكر السياسي لكمال جنبلاط يجمع بين الثقافة العميقة بالحضارات الشرقية والغربية، فكان يدعو إلى العروبة العلمانية، وتمكن جنبلاط وفلسفته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من استقطاب شرائح المجتمع اللبناني، التي تجسدت بتأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي، الذين ينتمون

إلى أكثر من مذهب وأكثر من مدرسة سياسية، بينهم الشيخ عبد الله العلايلي، فريد جبرا، البير أديب، فؤاد رزق، جورج حنا، إلى ذلك كان لفلسفة كمال جنبلاط وتجربته في وزارتي الاقتصاد والداخلية، دور كبير في تعبيد طريقه إلى الشرائح المذهبية المتعددة، بالعدالة الاجتماعية والحرية ،وسعيه المستمر لتأسيس وتوسيع نطاق خدمة المؤسسات الاجتماعية والرسمية، كالضمان الاجتماعي والجامعة اللبنانية، وكانت عوامل مساعدة كونها اهتمامات مشتركة بين كل شرائح المجتمع اللبناني (صحيفة النهار العربي، 2025).

إن وعي كمال جنبلاط للقضية الفلسطينية كان عميقاً وموصولاً بتفرعاتها على الصعيد العربي، وبالنسبة على الصعيد اللبناني، كان يرى أن الصهيونية ستكون من العوامل المعززة والمصعدة للطائفية، والمدمرة للبنية الوطنية اللبنانية الهشة المتمثلة في دولة الاستقلال، أما بالنسبة إلى الفلسطينيين الوافدين إلى لبنان، كما وفدوا قسرًا إلى أقطار عربية أخرى، فكان كمال جنبلاط يرى أنه من الضروري التعامل معهم كشعب شقيق، كأخوة، وواجب الإخوة يستدعي المساواة في المعاملة، وليس القهر والظلم أو الاضطهاد، وأعلن كمال جنبلاط أن لا تسوية على حساب المبادئ، وأكد أن الرفض هو المعارضة الحقيقية، وكان دور جنبلاط القيادي البارز على صعيد الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية، وعلى صعيد قيادة الحركة الوطنية اللبنانية لمواجهة المؤامرة السوداء على لبنان. مارس كمال جنبلاط الثورة وانتقدها، وانتقد نفسه وحزبه، كما انتقد حلفاءه، وأخواته، وخصومه الحقيقيين الوهميين، لأنه كان في عمق فلسفته، فلا وصاية للثورة على الديمقراطية، ولا إحباط للثورة باسم الديمقراطية، بل علينا أن نحقق الثورة بالديمقراطية أو الديمقراطية بالثورة، وكان يعتبر أن الخطر الحقيقي علينا مصدره الاستيطان الصهيوني. فوحدة لبنان مقدسة لدى كمال جنبلاط كتحرير فلسطين بل هما متعادلتان، وإن مستقبل الثورة الفلسطينية رهن بالقرار الفلسطيني الثوري، التقدمي والديمقراطي معًا (خليل، 1984، 218–219).

يحدد كمال جنبلاط العلاقة بين لبنان والعالم العربي، كينونة لبنان عربية، بحسب وصف جنبلاط، فكيف أن يكون لبنان ذا وجه عربي، أو كيف يمكن أن تنفصل عروبة لبنان عن كينونته، وأن يكون التعبير عن الشيء هو غير المعبر عنه، والوجه غير الجسد، فالشعب اللبناني شعب عربي من الشعوب التي تنتمي إلى الأمة العربية، ويعتبر جنبلاط الغالبية المسيحية السياسية انعزالية، وأن فريقًا صغيرًا منهم فقط قد أقر بانتساب لبنان إلى العروبة عندما وضع الميثاق الوطني اللبناني سنة 1943، وبما أن الأرجحية السياسية كانت لهم (مجذوب، 2011، 81).

المبحث الثالث: الفكر السياسي لكمال جنبلاط

تاريخ العالم عند كل من هيجل وجنبلاط، بكل ما فيه من مشاهد متغيرة وأحوال متقلبة هو تقدم الروح وتطورها، وهذا ما يسوغ وجود الله في التاريخ، تأكيد جنبلاط على تميز الإنسان بالعقل

وبالوعي هو تأكيد هيجل على التمايز بين الإنساني والطبيعي، "لقد تشرف الإنسان بالعقل والحرية، وهذا فضله وامتيازه على جميع الكائنات الحية، كما تميزت حضارته بخلق القيم المعنوية والمسالك الروحية، فلا ننزل بهذا الإنسان ألى مستوى أدنى من الحيوان"، كما يوصي هيجل، ولا خلاف مطلقا على الغايات، فالهم الهيجلي الجنبلاطي على صعيد الغاية هو هم إنساني شامل (فراج، 1977، 237-238).

ذهب كمال جنبلاط إلى بلاد الهند التي طالما أعجب بها وبحضارتها في ثلاث رحلات (1951، 1952، 1953)، حيث التقى بقيادات الحزب الاشتراكي الهندي ونهرو، وخاصة بمعلمه الروحاني "شري اتماننداً" في أحاديثه العشرة مع معلمه، يصول معه في مفاهيم التوحيد المحض والمعرفة والسعادة والموت وحتى حياته الشخصية (خليل، 1984، 353).

يلتقي كمال جنبلاط مع (كارل ماركس 1818 – 1883)، وهيجل في جبهة تضم المناضلين ضد أحد أهم أوجه الاستلاب البشري، استلاب الإنسان لإله خارجي يظلله ويقهر إرادته في كل ما يفعل، وحين يصف جنبلاط الماركسية بأنها "استمرار للفلسفة اليونانية وفرع سابق من فروعها"، فإنه يسدي إليها المديح الأعظم، ذلك أن جنبلاط ليس في النهاية سوى فرع من الشجرة ذاتها، وحين يعلن أن ماركس "طلب وحدة تفسير الوجود" فإنما يعني بالتحديد، أنه تعامل مع الإنسان بكافة أبعاده، وبشمول وترابط أوجه تكوينه الجسدي والعقلي والنفسي، أي أنه لم يفصل بين الاقتصاد والوعي، الفكر والواقع، المادة مع الروح. لقد فهم كمال جنبلاط المادية الماركسية فلسفياً "نظرية مناقضة ومعاكسة للعقائد الدينية" التي كانت مسيطرة عند الوثنيين الأقدمين، إنما "الماركسية تعني أن الأسباب والعلل التي تحرك هذا الكون ليست خارجة عنه، وشرائع تسيير هذا الكون موجودة في صميمه، بمعنى أن الحقيقة الأخيرة للكون لا تنفصل عن الكون، الله لا ينفصل عن الكون، هو خالق ومخلوق في آن واحد في الظاهر" (فراج، 1977، 160-161).

هناك جانبان لفكر كمال جنبلاط، جانبه الثقافي وجانبه السياسي، الجانب الأول هو امتلاء واستيعاب، فقد تميز جنبلاط، بنزوعه اللجوج إلى تملك كل ما يمكن أن يصل إليه من أشكال المعرفة ووجوه الثقافة، تملك امتلاء واستيعاب مهما تعددت الأدوات والمصادر والحقول المعرفية والثقافية، ومهما تناقضت مناهجها واتجاهاتها ومواقفها من قضايا المجتمع وشؤون الكون والتفكير، إن كمال جنبلاط رغم انجذابه الحار والحميم نحو مناخات المجرد و"المطلق"، ما كان انجذابه ذلك مطلقًا وحاسمًا قط، إنما كان أمره في هذا المجال يتسم بديناميكية الحركة والحيوية أي بديناميكية التطور والصيرورة في نطاق "تاريخيته" المحددة، ولنا أن نرجع إلى أساسين اثنين نستكشف فيهما مصدر هذه الديناميكية، أي مصدر تخطيه الفكري والعملي لذلك الانجذاب الراسخ لدى جنبلاط نحو مناخات

المجرد و"المطلق"، الأساس الأول جانبه الثقافي، والأساس الثاني جانبه النضالي السياسي (جنبلاط، ثورة في عالم الانسان، 1967، 209).

إن نظرة جنبلاط إلى المرأة وإلى حرية المرأة هي ضمن فكره السياسي، فهو ضد كل فكرة جامدة بشأن الحرية أو سواها، وهو ضد كل تقليد أعمى أو انقطاع فجائي وفوضوي عن تجارب المجتمع الماضية، هذا لا يعني أنه هو لم يخرج عن التقاليد لم يصدم بها، وقد حدث ذلك بصورة عنيفة في بعض الأحيان، ولكن البحث عن الانسجام، في تطور التقاليد كما في الثقافات والفنون والأنظمة والأفكار، كان هو الغالب بصورة عامة، هو الذي تخطى كل القوى التي تشده إلى الوراء، في المنطقة أو الطائفة وحتى في العائلة (نبيل، 1987، 198).

يؤكد كمال جنبلاط أن القومية هي شعور الجماعة، أي أنها تتميز ببعض مآلها من صفات مشتركة، عن جماعات أخرى، تعيش بالقرب منها، أو تتصل بها، أو لها معها علاقات مادية ومعنوية، تبرر مظاهر التميز والفروقات والمعاكسة، والجماعة المعينة هي التي تتحدد بواقعين أساسيين لا يمكن للبيئة، أي بيئة، أن تقوم بدونها، المكان أي هذه المساحة من الأرض التي يقطنها أو يقوم عليها أعضاء الجماعة، والزمان، أي التاريخ، أي هذه البيئة الحقيقية المعنوية من التقاليد والأفكار والعادات والغرائز، هذا الإرث الحي المتصل والذي بدونه لا يكون للذاكرة فينا الحافظة أية قيمة إيجابية، تجذب القومية الفرد والجماهير من وجهات مختلفة أهمها، وجهة المجد، ووجهة القوة والتضامن، ووجهة الوحدة، فهل يشعر اللبنانيون بأنهم جماعة أو هل يتحسسون برباط مشترك هو رابطة القومية اللبنانية، فمصلحة الطائفة هي التي تفرض مصلحة السياسة والدولة، وكل طائفة دينية تشعر وتفكر وتعمل بوصفها جماعة ووحدة اجتماعية وسياسية، فكيف يمكن للجماعة اللبنانية المؤلفة من جميع هذه الوحدات الصغرى المنفصلة المستقلة أن تشعر بأنها جماعة (جنبلاط، 1960، 61-70).

يؤكد كمال جنبلاط أن الانتداب الفرنسي، مهمته الرئيسية ليس فقط "تغريب"، لبنان و"تفرسنه"، وطبعه ما أمكن بما يبعده عن كل صفة ملازمة لماهيته، بل أيضًا إبراز هذا التناقض الداخلي، واستنفار القوى والعصبيات الطائفية، وتكريس الزعامات الزمنية والدينية، وقد تقوت بفعل ذلك، وانتشرت فكرة الوطن القومي المسيحي، وتطورت في بعض الأذهان والمحافل الدولية، إلى إنشاء" إسرائيل مسيحية"، على هذا الشاطئ المقابل "لإسرائيل اليهودية"، وكان مشروع الهلال الخصيب ينفتح كما هو معلوم لمثل هذا التقسيم (جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، 1978، 130).

يؤكد كمال جنبلاط أن السيادة هي سيادة الشعب ورقابة الشعب على مؤسساته، والمشاركة في هذه المؤسسات. إن هناك مفهومين للأقلية والأكثرية، إما أن تلغى الطائفية وتكون هناك أكثرية وأقلية بمعزل من الطائفية، ونحن نطالب إما بتطبيق الطائفية التي فرضتموها كقاعدة في الديمقراطية

اللبنانية، أو تتجاوزوها بإلغائها، فيكون مجلس للفعاليات التي سيكون لكم فيه أكثرية، وإذا لم تأخذوا بهذه الاختيارات، فإن استمرار الدمار والتدمير سيبقى إلى ما شاء الله؛ لأن الفقراء عادوا لا يتحملون الظلم السياسي والاجتماعي (مطر، 1978، 165).

يعترف كمال جنبلاط أن الوعي الطائفي ليس صفة جوهرية ثابتة، وأن الخلل الذي يظهر عليه أحيانًا ناجم عن أن الأقليات المعتقدية والإثنية، لم تخرج، ولم تفلت تماما بعد، من ذهنية بيئة القرون الوسطى الفكرية. يقول جنبلاط: "الميثاق الوطني اللبناني، الذي يتمسك به اللبنانيون كافة، قام في لبنان بعد سنة 1943 والاختيار مكان الإكراه في الميثاق الوطني، ولبنان هو بلد التسامح الديني الحقيقي، لا بلد التعايش الديني، وهو وحدة للحياة المشتركة، ولبنان بوصفه يجمع بين التراث المسيحي الغربي والتراث العربي الإسلامي، قد يكون أفضل آلة لقياس واقع الحضارة وأزمات التقدم والحضارة في الشرق العربي" (داية، 1981، 44).

إن الوجه السياسي للمسيحية الذي مكنه الانتداب الفرنسي من السيطرة على مقدرات الدولة والإدارة، لايزال هو المسيطر إلى حد كبير على توجيه السياسة اللبنانية في نسبة عدد أعضاء المجلس النيابي اللبناني، في توزيع الوظائف الإدارية، وفي تقسيم الرئاسات وتشكيل الحكومة، في النفوذ الناجم على السيطرة على الاقتصاد وعلى التفوق في حقل الثقافة العامة، ولم يتعرف لبنان القديم، طوال تاريخه الحديث، وحتى بعد نظام 1864، على أية سيطرة للطائفية السياسية المسيحية المحلية في الحكم بشكل مباشر (جنبلاط، 1960، 44).

يقول كمال جنبلاط: "في العصر الحديث القريب، قام اللبنانيون بنقل الحضارة الغربية إلى البلاد العربية، بفضل انتشارهم الواسع في أقطار أوروبا كافة والأمريكيتين تقريبًا، وبفضل اتصالهم البحري المباشر بالغرب، حتى أضحى لبنان ولايزال المركز الأول في الشرق الأوسط على إطلاقه للعلم والاقتباس والمعرفة والتخصص (سيف، 1999، 197).

لا يمكن فصل الجانب النضالي السياسي عن الجانب الثقافي، إن لم يستند إليها، وكان الجانب الثقافي من حيث هو الدليل إلى رؤية العالم، أداة تحويل لنشاطه السياسي من موقع الانحصار في دائرة الهموم، إلى موقع الانتشار في فسحة الزمن التاريخي الحاضر والمستقبل للعمل في "ورشة" التطور الكوني الممتدة من أرض هذا الوطن الصغير لبنان. إن الممارسة النضالية العملية في مجال الصراع السياسي، الوطني والقومي والعالمي، للإسهام في تحرر الإنسان من ارتهان عمله اليدوي والفكري لاستغلال المتسلطين على رأس المال ووسائل الإنتاج والسياسة، الذين لا يعرفون نظامًا سوى المنافسة الحرة والربح اللامحدود، إن الممارسة النضالية هذه كانت هي الأساس في قيام تلك المعادلة، بقدر ما كانت تعكس تجاربها الغنية على الدورة الفكرية بكاملها لدى كمال جنبلاط، فتغتني هي بهذه

التجارب، ثم تتحول إلى مصدر غني للتجارب النضالية نفسها, هكذا كان تبادل العطاء ينتج تحولات في عملية تفكيره، وتحولات في مسيرة نضاله (جنبلاط، 1967، 65–99).

وفي خضم الصراع السياسي، تتبلور لدى كمال جنبلاط صورة الديمقراطية، فقد أثبتت له الممارسة أن الديمقراطية البرجوازية التي يسميها (الديمقراطية الفردية)، هي التي مزقت تضامن العائلة والمجتمع والمؤسسات، وهي مفهوم خاطئ للإنسان والمجتمع البشري، انزلقت فيه الجماعات القائمة، وأنه علينا أن نركز ونستقطب الإنسان المواطن من جديد إلى المجتمع، وأن عهد الديمقراطية الاجتماعية قد أذن واقترب، وأثبتت لجنبلاط الممارسة أيضًا أن الديمقراطية البرجوازية، التي يسميها "الديمقراطية السياسية"، هي ليست إلا مظهرًا من مظاهر حرية الإنسان وتعبيرًا لمرتكز ورائي قد يكون أهم في نظر سواد الناس من هذه الحرية السياسية ذاتها (جنبلاط، 1987، 124).

لم ينسحب جنبلاط من ثقافته الدينية والفلسفية والصوفية، ولا من اعتقاده الراسخ بأن عملية تطور الحياة الحقيقية تجمع على الدوام التناقضات، ثم تهدمها لتبني تناقضًا آخر أكثر انسجامًا، ثم هدم هذا التناقض لربط تناقض جديدة يتعداه في تطور الصيرورة. يؤكد كمال جنبلاط، ردًا على الذين يحصرون الحرية في إطار تغير الأنظمة السياسية والتحرر الطبقي والاقتصادي، أن الحضارة الحقيقية هي في الشخص، في المتحمس، في الناظر المدرك العارف للأشياء، وليست قائمة في الأشياء، وفي مناقشة كمال جنبلاط، للمقولة الماركسية أن الحرية هي "إلغاء ارتهان الإنسان"، (اغترابه أو استلابه بفعل الرأسمالية)، والتي يعتبرها إحدى أكبر المساهمات التي تقدمت بها الماركسية في مجال دراسة الإنسان، ويقترح جنبلاط، تحدي هذا الارتهان وإلغائه لإعادة الإنسان إلى حريته الكاملة، ويتخطى هذا الإلغاء بكثير من الأشكال والقوالب، التي أقيمت مع بداية تحقيق الثورات الماركسية، والصيغ الأولية لثوراتها (جنبلاط، 1987، 61).

إن الإيمان في الفكر السياسي عنده يتخطى القشور والشكليات، ويبتعد عن الصنمية والطقوس، لينفذ إلى جوهر الطبيعة وأسرارها ووحدتها، توصل جنبلاط من خلال معترك الفكر والتصوف والسياسة والمجابهات اليومية على كافة الأصعدة، إلى اعتبار الدين رؤية فكرية ومحاولة لتفسير المجهول، وكلما تطور العلم تطور الدين وتقلص مجال تفسيره للأشياء، فالدين في النهاية معتقد اجتماعي إنساني، بشري وظاهرة اجتماعية تبقى ما بقي الإنسان، إلا أنها تتطور بتطور الإنسان، فليس في الحياة جمود، وكل شيء حركة، وربما الحركة هي الشيء الوحيد الموجود، كما يقول بعض العلماء (نبيل، 1987، 87).

يتحدث كمال جنبلاط عن القائد السياسي والاجتماعي، أنه يجب أن تكون له روح ثورية، ونظرة ثورية دون أن تتحول عينه عن الواقع الذي هو فيه، فيقيد الإنسان أن يكون مثاليًا واقعيًا، كما يقول (المهاتما غاندي) (جنبلاط، 1967، 97–103).

الفكر السياسي لكمال جنبلاط في مجلس النواب اللبناني:

عقد مجلس النواب اللبناني الجلسة الثالثة من الدور التشريعي السادس في الثامن من آب (أغسطس) سنة 1950، لمناقشة مشروع تعديل قانون الانتخابات النيابية، وقدمت لجنة الإدارة والعدلية القانون الذي يتعلق بزيادة عدد النواب، وافقت اللجنة على اقتراح الحكومة برئاسة رياض الصلح، إلى سبعة وسبعون نائبًا، لأن هذه الزيادة تؤمن تمثيل المناطق بصورة أوفى وأعم، وأعلن رئيس مجلس النواب صبري حمادة، بأن المشروع مطروح للمناقشة، وتناول المشروع النائب كمال جنبلاط، موضحًا الوضع الذي يريد القانون أن يصلحه أو يتلاءم معه، مع الأخذ بعين الاعتبار الأخطاء والنواقص السابقة التي رافقت تنفيذ القانون السابق في انتخابات سنة 1943 وسنة 1947، وسنوات الانتداب، أي أن الاختيار يتوالى على البلاد منذ ثلاثين سنة تقريبًا، وأول ما يلاحظ من ضمن هذه النواقص أن هناك فئات من المناطق نظرًا للوضع الطائفي، تعمل لبقاء روح الرجعية والإقطاعية، لتظل مسيطرة على الأفكار، وأول ما يلاحظ إذن أن هناك في كل منطقة فرد أو أفراد يمكنهم أن يفرضوا سيطرتهم على جميع المنطقة، وبذلك يختل النظام الديمقراطي من أساسه، فلا يستطيع المواطن أن ينتخب بكامل حريته، وأكد النائب كمال جنبلاط عندما كان وزيرًا في الوزارة الانتخابية السابقة بأن تنبه كثيرًا لمئات ألوف الليرات التي دفعت لبعضهم حتى يغير رأيه أو يقبل أحد الأشخاص بلائحته، فالقائمة التي يجب أن تتوخاها الحكومة هي دائرة، وهذا طبعًا يقتضي إلغاء الطائفية التي يستغلها الرجعيون وبعض رجال الدين، والحل الوسط هو أن لا تزيد الدائرة على إثنين أو ثلاثة نواب (الشمري، 2008، 113).

والقضية الثانية التي طرحها النائب كمال جنبلاط هي مساواة المرأة بالرجل في الانتخابات وفي جميع وظائف الدولة. حيث أكد، "كان علينا أأن نوفر للمرأة حقها في الانتخابات، فالمرأة ليست دون الرجل، أو أكثر الذين يذهبون للاقتراع، كان علينا أن نتقيد بالتوقيع الذي وقعناه في هيئة الأمم المتحدة، وأن نضع بندًا خاصًا للمرأة"، ودعا جنبلاط إلى إلغاء الطائفية، بقوله: "وإن جميعنا يود إلغاء الطائفية من هذا المشروع الطائفي البغيض الذي تقدمت به الحكومة، لا توجد الطائفية في البلاد إلا في أدمغة المستفيدين منها، أما الشعب فإنه لا يفكر في مسلم أو مسيحي أو درزي أو أي شيء آخر، وأكبر برهان على ذلك انتخابات البلديات والمخاتير، وأن القواعد الطائفية وضعت لسيطرة بعض المتنفذين من رجال السلطة ورجال الدين، لرجال الدين حقهم ويجب أن لا يتخطوه" (الشمري، 2008، 114).

أشار كمال جنبلاط إلى خطورة الاتجاهات الطائفية وانقسام لبنان بين الطوائف، فرأى أن خُمس لبنان يحكم البلد بواسطة رئاسة الجمهورية والموارنة خمس اللبنانيين، وخمس لبنان الآخر يحكم البلد بواسطة رئيس الحكومة، والسنة خمس اللبنانيين، والشيعي والدرزي والأرثوذكسي والكاثوليكي

والارمني والآشوري والكلداني وما إلى ذلك يحكمون لبناند هذا بخمسه وهذا بسدسه وهذا بعشره " كأننا في نظام العشائر والأفخاذ"، واعتبر الحكم في لبنان بصورة أو بأخرى بأن لبنان بلد كاثوليكي، وهذا ما كان يثير نقمة المسلمين والوطنيين، فمنذ عهد الاستقلال وسعي الحكم بأنه يتجه للحصول على اعتراف البابوية بلبنان، من أجل صبغ الكيان اللبناني بالصبغة الكاثوليكية (حلاق، 35).

عقد مجلس النواب اللبناني الجلسة الخامسة بتاريخ التاسع من تشرين الثاني 1954، برئاسة عادل عسيران، وبحضور حكومة رئيس الوزراء سامي الصلح، وقف النواب ثلاث دقائق حدادا على أرواح ضحايا حوادث السابع من تشرين الثاني 1954، بين رئيس الوزراء الضحايا الذين وقعوا بسبب مظاهرات أعدتها بعض الجمعيات والمنظمات في بيروت، فاندلعت النيران من المشاعل ووقع هرج ومرج، وتوفى الكثيرون اختناقًا، وإصابة الكثيرين أيضًا بحروق بليغة نقلوا على إثرها إلى المستشفيات، وكان عددهم يقارب المئتين، واتخذت الحكومة تدابير سريعة لإسعاف المحروقين، ورصدت مئة ألف ليرة لبنانية لعائلات الضحايا، وفتحت النيابة العامة تحقيقًا بذلك، وتناول النائب كمال جنبلاط، حوادث السابع من تشرين، في الجلسة أعلاه، إن هذه البلاد لا يمكن أن تعيش على أساس ديمقراطي وطائفي معًا، فإما أن تُلغى الطائفية وإلا فالبلاد معرضة لهزات مماثلة، تزداد عنفًا ولا يمكن الخروج من هذا المأزق إلا في حل واحد، ألا هو إلغاء الطائفية، فعلى الحكومة أن تزيد مبلغ التعويضات أكثر، فإن هذه الكارثة هي وطنية ابتدأت على أساس طائفي، وانتهت على أساس وطني، ودعا بعض النواب بإلغاء الطائفية، واعتماد مناهج التربية الوطنية، وأن الدولة لا يمكن أن يكون لها دين، وكذلك الدعوة إلى تعديل قانون الانتخاب، ومعالجة مشكلة الأشخاص الذين يحملون سلاحًا بدون رخصة رسمية (الشمري، 2008، 132).

إن نظام 1864، الذي كرس الطائفية في الإدارة وفي تقسيم المناطق الإدارية، وفي وظائف الإدارة والقضاء، وحول المذاهب في لبنان إلى أحزاب، مذهبية سياسية، فما عاد الزعماء والموظفون والوجهاء والمتنفذين يعملون إلا لمصلحة أبناء طوائفهم، بوصفهم يمثلون هذه الطوائف دون سواها، وتوزيع البشر إلى أجناس مختلفة، لا تشعر كما يتوجب، بوحدة الوطن، والعيش، والصيرورة، والمصير، بوحدة ما هي عليه من بشرية إنسانية أصيلة، تتعدى الدين والمذهب ووجدت قبل الدين وقبل المذهب، ولا تفرق بين مسلم أو نصراني (جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، 1978، 127).

عقد مجلس النواب اللبناني، الجلسة العاشرة بتاريخ العشرين من كانون الأول (ديسمبر) عام 1966، برئاسة صبري حمادة، وبحضور حكومة رئيس الوزراء رشيد كرامي، وأكد في الجلسة النائب كمال جنبلاط أن "كل دورة للانتخابات النيابية لها تزوير مادي ورشوة، آن لنا أن نتخلص منها في لبنان باعتماد حظر نقل الناخبين على المرشحين وإنماء نقلهم على نفقة الدولة، وتبني الأساليب الحديثة في وضع لوائح الشطب الصحيحة والتي لا تحرف أو تنقض أو يخلط في وضعها ولو مرة

واحدة في تاريخ لبنان الديمقراطي الحديث، والطائفية السياسية في توزيع المقاعد تشكل بحد ذاتها تشويهًا آخر لحرية الناخبين، وواقعهم ولحصيلة توجههم، ونسب أعدادهم، والأفضل الواجب إلغاء هذه الطائفية السياسية من الدستور ومن قانون الانتخابات، وتعديل الدستور بما ينسجم مع طموح المواطنين اللبنانيين". وأكد جنبلاط، أن إلغاء الطائفية السياسية هو الشرط الوحيد لتمكين وحدة لبنان (الشمري، 2008، 176-177).

المبحث الرابع: فكر جنبلاط في تأسيس وقيادة الحركة الوطنية اللبنانية

من القضايا المهمة لدى كمال جنبلاط والتي تعتبر مفتاح فهم الكثير من مواقفه، لا بل مفتاح سلوكه السياسي، أن النظام الطائفي المعمول به حال دون تطور النظام السياسي اللبناني على الأقل في مقابل تطور الليبرالية الاقتصادية، وفي تمكين بعض الكفاءات من الصعود في سلم الرتب الاجتماعية والقيادة السياسية في التمثيل النيابي في الحكم، وقد شهدنا أقسامًا واسعة منها تدعم بقاء القديم على قدمه وتجميد النظام السياسي وتزكي النظام الطائفي، وإن الفئات المستأثرة والغنية والفئات التي تنتسب إلى المهن الحرة هي أكثرها من الطوائف المسيحية، هذه الطوائف التي فرضت في الانتداب قيام الكيان اللبناني، وطبعته بطابعها وفرضت عليه امتيازاتها السياسية، فجاء الامتياز الاقتصادي يؤثر بطبيعة الحال على الامتياز السياسي، ويبين البرنامج السياسي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان، بوجه الأفضلية والهيمنة الطائفية، ويحتل هذا الاعتبار مكانة مهمة في الفكر السياسي لكمال جنبلاط (جنبلاط، في مجرى السياسة اللبنانية أوضاع وتخطيط، 1960، 65-73).

قبيل انتخابات مجلس النواب اللبناني في أيار (مايو) 1947، تزعم كمال جنبلاط، قيادة المعارضة داخل الحكم، فأعلن بيان 17 آذار (مارس) 1947، تحت عنوان "فساد الدولة ورشوة الموظفين والحزبية". إن هذا البيان يفتح مرحلة "الثورة البيضاء"، التي ستعيد النظر في كل محاولات الإصلاح الاجتماعي والسياسي التقليدية، والتي ستنطلق من موقف جنبلاطي شديد اللهجة، حيث يقول: "هناك رؤوس كبيرة يجب تحطيمها"، وفي العاشر من نيسان (أبريل) 1947، أذاع جنبلاط المذكرة الخاصة بحرية الصحافة والانتخابات، وعاود كمال جنبلاط انتقاد الانتداب الفرنسي، وطريقته في بناء "دولة لبنان الكبير"، المتعددة الطوائف، فكتب مقالا بعنوان "أول أيلول (سبتمبر) 1920"، أعلن فيه "لأفضل طائفة على طائفة فيما أعلنه المندوب السامي"، كان كمال جنبلاط موضع تقدير النخبة السياسية اللبنانية، ما بين 1943 – 1946، لربطه السياسة بالأخلاق، في عالم طائفي تكاد تنقطع أواصره الروحية، فلا يعود يحفل بغير الصراعات المصلحية (جريدة صوت الاحرار، 1947، 1).

كانت هناك ميادين ثلاثة تشغل على الدوام حيزًا كبيرًا في فكر واهتمام كمال جنبلاط، هي: (الطائفية، التمثيل الشعبي، الحريات)، منذ بداية حياته السياسية كان يفكر بهذه الإصلاحات، وكان يطور نظرته إليها مع تطور نسبة القوى وإمكانيات فرضها كشعار للتطبيق المباشر، الأشكال والمناسبات التي طرحها بواسطتها كانت في غاية التنوع والاتساع، إلى أن أخذت هذه الاقتراحات بعد الاحتكاك بتجربة الحياة والأزمة الدامية، وبعد المناقشات المستفيضة شكل البرنامج المرحلي للإصلاح السياسي الذي أقره لقاء الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والتقدمية اللبنانية في سنة 1975، فكان حدثا بارزا في حياة لبنان المعاصر، لم يترك جنبلاط مناسبة إلا وتحدث فيها، عن الطائفية والتمثيل الشعبي والحريات العامة، ولم يترك مناسبة إلا وجابه فيها الحملات والدعوات إلى التأجيل أو إلى منع الإصلاح وعرقلته (نبيل، 1987، 98).

كان لدور كمال جنبلاط وفكره السياسي العامل الأول في تأليف أحزاب الحركة الوطنية وله الدور أيضًا في تحويل هذا التأليف، إلى إطار سياسي بمجلس مركزي ولجنة تنفيذية، ومكاتب عسكرية ومالية وإعلامية، وتطور العلاقات إلى علاقات تحالف جبهة وطنية، وسيظل دور كمال جنبلاط دورًا بارزًا وأساسيًا في التأطير السياسي للحركة الوطنية، ليس بصفته الرئيس الأول لهذه الحركة، بل كونه العامل الأول الذي كان لمساهمته في تشكيل هذا الإطار الذي له أكبر الأثر على مسار الحركة الوطنية اللبنانية، في مواجهة مرحلة الحرب وما بعدها (شرورو، 1981، 84).

كان يخطب كمال جنبلاط في الجماهير العمالية إثر تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي، داعيًا إلى تحرير العمال وإلى الثورة على النظم وعلى الاستعباد، لم يقم كمال جنبلاط، بتمرد على انتمائه الطبقي الذي كان يشده ضد قضايا الناس، وأيضًا على انتمائه الجنبلاطي، ضد اليزبكيين، رغم ما لهذا الصراع بين الفريقين من تاريخ حافل هو معظم تاريخ الجبل خلال قرن وبعض القرن، الذي نزل إلى المصانع والمزارع والمتاريس، لأجل دك حصون الحرمان والامتيازات، هل كان سهلا عليه أن يكافح مع المحرومين والفقراء والمتعبين والذين لا يلبسون على صدورهم قميصًا، وهو الذي لم يعرف الحرمان ولم يذق الفقر، والذي كان الكثيرون مستعدين لأن يحملوه على ظهورهم إذا تعب، هذه القفزة النوعية التي حققها جنبلاط في تطور فكره السياسي، وكل ما يدل على أنه أحدث ثورة في بنيته وفي مجمل التقاليد والتراث، وذلك رغم النقاط المشتركة ورغم حفاظه بقدر الإمكان على خطوط من الانسجام مع كل ما مضى وما يمكن من تجارب الماضي، أن يعيش وينمو ويتفاعل (نبيل، 1987، 199).

إن طبيعة أزمة ولادة الدولة اللبنانية المستقلة هي في المقام الأول أزمة حكم، أي أزمة قيادة لا يمكن أن يتم حلها النهائي إلا بوصول التقدميين اللبنانيين إلى الحكم، لأن التقليديين سواءً كانوا طائفيين أو متنورين، لن يكونوا قادرين أبدا على عمل شيء، سوى تسويات عاجزة عن إقامة التوازن

اللازم في الدولة القانونية، بين قوة القانون وحكم الرأي العام. وفي هذا السياق، يوضح كمال جنبلاط، مسترجعا التاريخ والواقع، بأن أهل البلاد كانوا يرجعون إلى السلطات المنتدبة، فتعطل الدستور، فكلما بلغ تذمر الشعب غايته، فالأزمة هي أزمة حكم، وأزمة نظام، وهي فوق كل هذا أزمة أخلاق وكفاءة، لا يمكن تلافيها بإبدال رجل من رجل، ولا وزارة من وزارة، ولا موازنة من موازنة، بل هناك عمل يجب أن نوجهه بجرأة هو درس وتعديل النظام في لبنان على ضوء التاريخ اللبناني ومقتضيات العصر وتبديل أساس حياتنا بصورة شاملة (جريدة الصفاء، 1945).

اكتشف كمال جنبلاط خلال فترة وجيزة بعد انتخابات 1952، أن انتصار الحليف المؤقت كميل شمعون، لن يوفر له أي نفوذ إضافي، والحقيقة أن شمعون بدأ مصممًا على تحجيم جاره في الشوف وإبعاده عن أي نفوذ فعلي خلال فترة رئاسته، وهكذا ضاعف جنبلاط مطالبه بتحقيق اصطلاحات سياسية، وأمضى السنوات التي كان فيها شمعون موجودًا في السلطة، يخطط للانتقام منه، ووضع شمعون المزيد من الملح على جراح جنبلاط، وذلك من خلال منح امتيازات سياسية جديدة لزعيم "درزي يزبكي" آخر هو الأمير مجيد أرسلان، وتزعمت عائلة أرسلان في تلك الفترة قيادة الجناح "اليزبكي" للدروز الذي يكن عداوة تاريخية للجماعة الجنبلاطية (كوبان، 1985، 78) .

لعبت الجبهة الاشتراكية الوطنية دورا بارزا على صعيد معارضة حكم الرئيس بشارة الخوري، واعتبر كمال جنبلاط أحد أبرز أعضائها، وما لبث المواطنون والأحزاب التي تدفقت فيها، خاصة بعد أن أصر الرئيس بشارة الخوري على عدم تشكيل حكومة إصلاحية من عناصر المعارضة ومن المحايدين ترضي الجبهة الاشتراكية الوطنية (جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، 1978، 24) (حلاق، 1985، 434).

قام غسان تويني عضو الجبهة بدور مهم في مواجهة الحكم من خلال صحيفته "النهار"، فانتقد السلطة على أسلوبها في التعسف والبطش، وتوقيف (ثماني) صحف عن الصدور ومما قاله: "نحن في نضال مع أسلوب حكم، مع قيمين على الحكم، وقد بتنا على يقين أن نضالنا هذا بأن الأيدي التي أفسدت لا يمكنها أن تصلح ما أفسدت ولو صلحت النيات، ولأن السواعد التي تعودت على الهدم لا يمكنها أن تبني مهما كانت الرغبة في البناء ملحاحة" (صحيفة النهار، 1952) (جنبلاط، 1987، 179) (الرياشي، 1961، 176).

أسفرت انتخابات 1957، عن فوز ساحق للمرشحين الموالين لعهد كميل شمعون، أي أنها أنجزت حسب خطة مرسومة من قبل أجهزة الدولة وبدعم خارجي واضح، كما يستدل في بعض المصادر لإسقاط أقطاب المعارضة .(Eveland, 1952, pp. 250–252)

فازت الحكومة بعشرة مقاعد في بيروت من أصل أحد عشر مقعدًا، وخسر قطبا المعارضة، صائب سلام وعبد الله اليافي مقعديهما في العاصمة رغم شعبيتهما الواسعة، أما في جبل لبنان، فقد

فازت الحكومة بجميع المقاعد النيابية، وكان كمال جنبلاط، وهو أحد قادة المعارضة بين الذين خسروا مقعدهم النيابي هناك، لأول مرة خسر أحمد الأسعد مقعده النيابي في محافظة الجنوب (صحيفة النهار، 1957).

فكر كمال جنبلاط بإعلان الثورة وأكد ذلك في كتابه، "حقيقة الثورة اللبنانية": "منذ تلك الساعة أي ساعة ظهور نتيجة الانتخابات سنة 1957، وبعد مرور ساعات وأيام وعام من الراحة والقرف واليأس من السياسة وأربابها بدأنا نفكر بأن الثورة أضحت لا مفر منها، وعكفنا نعد العدة والتسليح، وعلى إثر النتائج الانتخابية قام بعض الرجال من أتباع المعارضة، بتسلق جبل الكنيسة، والبدء بعمليات نسف الجسور وخطوط سكك الحديد وإطلاق النار على مراكز قوى الأمن، وتعددت الحوادث في بيروت، وطرابلس وصيدا، وراشيا، وفي الوقت ذاته حاصرت قوى الأمن المختارة، وأصدر وزير الداخلية سامي الصلح، أمرًا بسحب القوات"، وقال: "لم أسمح لقوى الأمن بأن تهاجم كمال جنبلاط، في معقله المختارة، لأني أعلم أن والدته المغفور لها (نظيرة جنبلاط)، مدفونة فيها وحرصت على الاجتماع مع كمال جنبلاط، باعتباره صديقا قديما لي، طلبت منه دراسة الوضع لتفادي مثل هذه الحوادث الدامية، فطلب مني أن أستقيل بدوري من الحكم لأحرج موقف السلطة، فأجبته بأنه لا يمكنني أن أتخلى عن واجباتي كرئيس وزراء لبنان، قبل أن تأتي حكومة شرعية تتسلم الحكم مني، وإلا بت وحدي مسؤولاً". لم تتسم الحركة بطابع طائفي، بدليل أن لفيفاً من الشخصيات المسيحية (فؤاد عمون، فيليب أبي نادر، فيليب البستاني، عصام كرم، إسكندر غبريل، أدمن نعيم، أميل طربية، والدكتور بشارة دهان، وغيرهم) قد انضموا إلى جنبلاط وجعل معظمهم من المختارة مقرا لهم (الصلح، 1970، 158-174).

في سنة 1958، اندلعت الثورة الوطنية المسلحة وتمكنت من تحقيق بعض أهدافها، بالرغم من استقدام الأسطول السادس الأمريكي واحتلاله لقسم من الشواطئ اللبنانية، على أنه بالرغم من فشل المحاولات الرامية إلى تحويل الثورة إلى فتنة طائفية، ومع العلم بأن ثلاثين بالمائة على الأقل من المسيحيين وقفوا مع زعمائهم إلى جانب الثورة، كما وقف في الجانب المعاكس الآخر ما لا يقل عن ثلاثين بالمائة من المسلمين، فقد تسمرت بعض العيون على حوادث مؤسفة جدًا، ولا شك في ذلك، جرت في بيروت، ويحدث مثلها الكثير في العديد من البلدان الراقية، فشخصت أبصار بعض المسؤولين وبعض قادة الثورة أنفسهم، وهم لا ينظرون إلا ببصيرة التقليد، إلى هذه الحوادث المؤسفة، وتجاهلوا عن قصد أو عن غير قصد، صبغة هذه الثورة الوطنية الجامعة للمسيحيين والمسلمين على السواء معظمهم (جنبلاط، في مجرى السياسة اللبنانية اوضاع وتخطيط، 1960، 124).

في شباط سنة 1958، اتحدتا سوريا ومصر فأصبحت الجمهورية العربية المتحدة، ونجح جمال عبد الناصر في تأميم قناة السويس وتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا، مما أدى إلى زيادة

تدهور الأوضاع في الموقف اللبناني الداخلي، فيما استمرت الأعمال المخلة بالأمن في مختلف المناطق اللبنانية، وسقط في بيروت الصحافي اللبناني، (نسيب المتن) قتيلا أمام منزله، فاتهمت المعارضة كميل شمعون مباشرة بقتله، وكان من الواضح أن شمعون يهيئ أنصاره في مجلس النواب اللبناني، كي يجددوا ولايته كما فعل بشارة الخوري سنة 1947، فاستفادت "الجبهة الوطنية" المعارضة من ذلك وأعلنت الإضراب العام الذي تحول فجأة إلى "ثورة مسلحة"، شملت طرابلس، وصيدا، والأحياء الإسلامية في بيروت، والشوف، عرين كمال جنبلاط، مما جعل الكيان اللبناني مهددًا ولا سيما بعدما بدأت أجهزة عبد الحميد السراج، في دمشق (رئيس المخابرات السوري ورجل عبد الناصر القوي في سوريا)، بمساعدة الثائرين ماليًا وعسكريا بإيحاء من الرئيس عبد الناصر، بالطبع طلب كميل شمعون النجدة من الأمريكيين ومن حليفه نوري السعيد. وقبل أن يتم إرسال قوات عسكرية إلى كميل شمعون، قام الشعب العراقي بثورة في 14 تموز (يوليو) 1958 بقيادة الجيش العراقي وأسقط النظام الملكي، حليف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فطلب شمعون رسميا من الولايات المتحدة الأمريكية، أن تتدخل عسكريًا لحماية الكيان اللبناني من الانهيار، فلبت الدعوة وأنزلت في 15 تموز (يوليو) قوة من الأسطول السادس المرابط في البحر الأبيض المتوسط، على شاطئ الأوزاعي، وبعد مداخلات كثيرة، رفض الجيش اللبناني بقيادة اللواء فؤاد شهاب القضاء على الثورة، اتفق على أن يكمل كميل شمعون ولايته، ثم انتخب مجلس النواب اللواء فؤاد شهاب، رئيسا للجمهورية، والذي رفع شعار "لا غالب ولا مغلوب" (الريس، 1978، 46).

ندد كمال جنبلاط بالتدخل العسكري الأمريكي في لبنان معتبراً إياه مدعاة لأثارة الحقد والكراهية، إزاء الولايات المتحدة الامريكية والغرب، غير ان كمال جنبلاط أوضح للمبعوث الأمريكي مستر مورفي بان موقفه السياسي يؤكد على استقلال لبنان ودعم كيانه الحالي وذلك في محاولة منه لدحض ادعاء شمعون بان المعارضة تريد ضم لبنان الى الجمهورية العربية المتحدة، كما وافق كمال جنبلاط على ترشيح فؤاد شهاب لمنصب الرئاسة وعلى ضرورة إجراء الانتخاب الرئاسي هذا بأقرب وقت .(U.S.Dept.St.C.F, pp. 25,58)

عندما تمكن كميل شمعون في انتخابات 1957، من إسقاط كبار زعماء المعارضة، تمرد عليه رشيد كرامي، وفاز بكامل لائحته في الفيحاء عاصمة الشمال، وسقط أحمد الأسعد في الجنوب، وصائب سلام وعبد الله اليافي في بيروت، وكمال جنبلاط في الشوف (فرشخ، 2016، 351).

إن كميل شمعون يحاول البقاء في كرسي الرئاسة اللبنانية على حساب أصدقائه وخصومه على السواء، وقد سر عندما أخبرته عن التفكير في إجراء انتخابات للرئاسة في وقت قريب، وكان كمال جنبلاط يعتقد أن المارينز جاؤوا لمساندة كميل شمعون، وعندما تبين له خطأ ذلك، زالت كل معارضته تجاه التدخل الأمريكي، وأصبح الوضع منسجمًا، إن المبعوث مستر مورفي عندما قابل

جنبلاط شاهد دماثة أخلاقه، بينما كان يتوقع أن يرى في هذا الثائر غير ما رأى من اللطف، وأعرب مستر مورفي عن ارتياحه لمقابلة زعماء الثورة، إذ خيل له أنهم أظهروا اعتراضهم على التدخل الأمريكي من جراء ما أظهروا له من اللطف (بيهم، ب ت، 146).

نجد أنفسنا في لبنان حاليا كما كنا عليه قبل سنة 1943، بانعدام التفاهم والحذر المشترك، وانتهت هذه الثورة الأخيرة من حيث كان يجب أن لا تنتهي، أن الحكم كرس الطائفية السياسية من جديد، نصف بنصف ولا غالب ولا مغلوب، عوض أن يؤتى برجال من الطليعة الوطنية، والذين يستطيعون وحدهم تطوير الوضع اللبناني، بحزم وبحكمة وبقوة، وتأسيس الدولة على قواعد الكفاءة والنظام، وخارج نطاق عجلات هذه الطائفية السياسية (جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، 1978، 134).

تشكل الحركة الوطنية والتقدمية في لبنان تجربة فذة ليس في مداها اللبناني وحده، وإنما من حيث دلالاتها العربية، كونها تشكل النقاء منظمًا وواعيًا بين الماركسية والقومية، وخصوصًا من حيث الثمار العربية لهذه الجبهة، كونها دافعت عن القضية الفلسطينية، وكونها أبرزت إمكانيات التحالف الوطني في العديد من البلدان العربية في حال توفرت إرادة تغليب نقاط الالتقاء على نقاط الخلاف، وتجربة الجبهة في لبنان كانت موضع دراسة في بلدان عربية عديدة، ودائما كانت بعض الأوساط والقوى التقدمية الوطنية تعرب عن تقديرها الرفيع لدور كمال جنبلاط، في هذا الصدد، وقيام التعاون الوطني التقدمي في لبنان على أسس الجبهة بقيادة كمال جنبلاط، كان من نتائجه أن ازداد احترام الزعيم الوطني اللبناني في المحافل العربية وفي الأوساط الوحدوية الطامحة لبناء مبادرة محلية تكوّن إسهامات في بناء التحالف القومي التقدمي على صعيد الوطن العربي (نبيل، 1987، 254).

كان مؤسس الحزب الاشتراكي يريد لبنان بلدًا عربيًا ديمقراطيًا بكل ما تنطوي عليه هاتان الكلمتان من معان ومن التزامات سواء بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، أو بالنسبة إلى الحريات الديمقراطية السياسية والاقتصادية والصحافية والنقابية، إن زعامة كمال جنبلاط للحركة الوطنية اللبنانية، لم تكن صدفة أو مفارقة، إنها زعامة بنيت على مر السنين، ودعمت وأصبحت جزءًا من الحياة السياسية في لبنان، يركز كمال جنبلاط على اعتبار "المارونية" السياسية المتعصبة، مصدرًا لأزمات البلد وهو يعد باستمرار مصادر قوتها، ويشير إلى أن انفجار خلافها مع الآخرين يعود إلى نقضها مقولة "التسامح"، التي يفترض أن تشكل أهم قوانين الحياة السياسية في بلد مثل لبنان، حيث التسامح هو التعبير المحلي عن الديمقراطية والتوازن (جنبلاط، في مجرى السياسة اللبنانية أوضاع وتخطيط، 1960، 55-88).

ليس كمال جنبلاط مؤيدا للقضية الفلسطينية، بل هو واحد من القادة القلائل الذين اكتشفوا المغزى التاريخي والثوري لهذه القضية، وتعامله معها مرتبط بنهجه العام في السياسة، بنضاله

الديمقراطي الاجتماعي والديمقراطي السياسي، والديمقراطي الوطني أو القومي، فلا تنفصل في الفكر السياسي لكمال جنبلاط المعرفة السياسية عن الممارسة النضالية، بل يوفق بين المبدأ والمسلك، فيتآخيان في وحدة تتم بالارتقاء والاكتمال، وبهذا المعنى كان كمال جنبلاط في فلسفته السياسية تماما أو كماليا، فقد كان على أخذه بالأسلوب الجدلي الصحيح، ينشد التمام في كل شيء وفي كل قضية، ونجد عنده من الأمور البديهية، الوضعية والموضوعية، أن تكون الثورة هي كمال القضية الفلسطينية، وبدونها لا تنتصر القضية (خليل، 1984، 219).

في السادس عشر من آذار (مارس) 1977، جرى اغتيال كمال جنبلاط في ضواحي بعقلين بينما كان متوجهًا إلى بيروت، وشكل غيابه فراغًا لا يمكن تعويضه على الساحة الوطنية، كان لابد من البحث عن بديل يخلفه في رئاسة الحركة الوطنية اللبنانية، وانتخب وليد جنبلاط، رئيسًا للمجلس السياسي المركزي خلفًا لوالده الشهيد (المقدم، 2016، 146).

سنة 1975، اندلعت الحرب الأهلية، وصار فيها المسلمون أكثرية ساحقة، ومن نتائجها أن لبنان لم يعد موحدا ولا مستقلا. وما زالت الدعوات مستمرة، من جهة إلى حرب طائفية، ومن جهة أخرى إلى علمانية مبدئية. ويواصل لبنان يواصل تفككه الاجتماعي، إذ تشد الطائفية قبضتها على مجمل العقلية اللبنانية بحيث فاقت كل تصور وكل اعتبار. ويخاطب كمال جنبلاط السياسيين قائلًا: "لنعبر جميعًا جسر التطور والتجديد إلى الوحدة الشعبية التي كوَّنتها، إلى حد بعيد، هذه الجبال في كفاح أبنائها عبر مئات، وربما بضعة آلاف، من السنين (جنبلاط، ثورة في عالم الانسان، 1967، 100) .

وقد شدد كمال جنبلاط على أنه، في ظل النظام السياسي القائم، لن يقوم الجيش اللبناني بمحاربة إسرائيل في أي يوم من الأيام. فهل يعني ذلك أن اللبنانيين سيدركون أهمية الديمقراطية في توحيد مجتمعهم وتطوير دولتهم، فيتحملون أعباءها ويُقدِمون على إنشاء ديمقراطية جديدة تنطلق من إلغاء منظم لكل طائفة سياسية، وبناء دولة علمانية؟ أم أن الامتيازات الطائفية المارونية ستظل تولد القلق والخوف والعنف والحروب الأهلية، في حين تدل كل الظروف على أن اللبنانيين يتسلحون لفرض إرادتهم؟ (مجلة الطريق، 1976، 117).

الخاتمة:

إن شخصية المفكر اللبناني كمال جنبلاط تركت بصمة واضحة لا تمحى في تاريخ لبنان المعاصر في مجال الفكر السياسي، هذه الشخصية الفكرية قد ألهمت الأجيال من خلال إنجازاتها وغيرت مسار التاريخ اللبناني المعاصر، وتم تسليط الضوء على أهمية فكره السياسي الجاد، والسعي

لتحقيق الأهداف النبيلة وتجاوز الصعاب على المجتمع اللبناني، والسعي بثبات لتحقيق الإنجازات السياسية التي تخدم الإنسانية.

في خاتمة البحث نستنتج أن واقعية كمال جنبلاط وجدليته المتطورة هما اللتان دفعتاه إلى البحث عن الحقيقة. كما أن الأسئلة التي واجهها جعلته يقبل التحدي، باحثًا عن الحقيقة، وقائدًا للعمل الثوري والحزبي، ومفكرًا سياسيًا، وباحثًا في حياة الشعوب. وتبين إنسانية كمال جنبلاط أنها نابعة من عروبته اللبنانية، ومن أعماق الشوف والجبل.

يعد جنبلاط مثقفًا من طراز رفيع، ومؤلف للعديد من الآثار الفكرية والعلمية والسياسية، وكانت له اهتمامات بالطب البديل والمداواة بالأعشاب، وهو فيلسوف ومفكر عربي، كتب الشعر باللغتين العربية والفرنسية.

وكان يدعوا إلى تكوين وطن لبناني متحرر من الطائفية، ومن الأوضاع التي تؤجل التخطيط والتوجيه الصارم والتعديل التدريجي للقوانين والأنظمة والدستور اللبناني، إن الإنجاز الأكبر لكمال جنبلاط هو وضع مشروع تنظيم الأحزاب السياسية في لبنان، حدد فيه ماهية الأحزاب وعقائدها والمحتوى الديمقراطي للسياسة الشعبية التقدمية، ومن خلال نضاله السلمي والديمقراطي.

يوضح جنبلاط أن طبيعة أزمة ولادة الدولة اللبنانية المستقلة هي في المقام الأول أزمة حكم، أي أزمة قيادة، لا يمكن أن يتم حلها النهائي إلا بوصول التقدميين اللبنانيين إلى الحكم؛ لأن التقليديين، سواء كانوا طائفيين أو متنورين لن يكونوا قادرين أبدا على اكتساب شيء آخر سوى تسويات عاجزة عن إقامة التوازن اللازم في الدولة القانونية بين قوة القانون وحكم الرأي العام.

قائمة المراجع والمصادر:

- الرياشي، إسكندر (1961): رؤساء لبنان كما عرفتهم، بيروت: المكتب التجار.
- الحزب التقدمي الاشتراكي (2008): الزعامة الجنبلاطية، جامعة متشيغان: تم الاسترداد من الحزب التقدمي الاشتراكي.
- لسباعي، أمين (1970): الأحزاب اللبنانية في مواجهة 1970، بيروت: المؤسسة الصحافية صحافيا.
- سيف، أنطوان (1999): ثلاثة حكماء من جبل لبنان.
- الخوري، بشارة خليل (1960): حقائق لبنانية، بيروت: منشورات أوراق لبنانية.
- داية، جان (1981): المعلم بطرس البستاني دراسة ووثائق، مجلة فكر، ص44.
- جريدة الأحرار (3 كانون الثاني (يناير) (1947): بيروت.
- جريدة البيرق (أيلول (سبتمبر) (1948): ع 3.

- جريدة الصفاء (18 12، 1945): ملحق العدد 2872.
- جريدة صوت الأحرار (1 9، 1947)، بيروت.
- فرشخ، جورج (2016): رشيد كرامي، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- سماحة، جوزيف (1 كانون الأول (ديسمبر)، 1977): محاولة الاقتراب من الفكر السياسي لكمال جنبلاط، مجلة شؤون فلسطينية.
- جوعيه، حاتم (18 أيار (مايو)، 2025): موجز لسيرة المعلم الشهيد كمال جنبلاط، تم الاسترداد من ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب: mail.diwanalarab
- حلاق، حسان (1985): تاريخ لبنان السياسي 1913–1952، بيروت: دار النهضة العربية.
- حلاق، حسان (ب.ت): الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان، بيروت: الدار العالمية.
- خليل، خليل أحمد (1984): ثورة الأمير الحديث، بيروت: دار المطبوعات الشرقية.
- مجذوب، زهوة (2011): الصراع على السلطة في لبنان، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- الصلح، سامي (1970): احتكم للتاريخ، بيروت: دار النهار للنشر.
- الريس، شفيق (1978): التحدي اللبناني 1975–1976، بيروت: دار المسرة.
- اشتي، شوكت (2015): الست نظيرة جنبلاط، بيروت: دار النهار للنشر.
- صحيفة النهار (7 آب (أغسطس)، 1952): العدد (6601).
- صحيفة النهار (17 حزيران (يونيو)، 1957): العدد (6601).
- صحيفة النهار العربي (16 3, 2025): بيروت.
- ظاهر، عدنان محسن؛ وغنام، رياض (2007): المعجم النيابي اللبناني 1821–2006، بيروت: دار بلال للطباعة والنشر.
- فراج، عفيف (1977): كمال جنبلاط جدلية المثالي والواقعي، بيروت: دار ابن خلدون.
- شرورو، فضل (1981): الأحزاب والتنظيمات السياسية في لبنان 1930–1980، بيروت: دار المسرة.
- مطر، فؤاد (1978): سقوط الإمبراطورية اللبنانية، ج1 (المجلد ط2)، بيروت: دار القضايا.
- أبو مصلح، كمال (1984): كمال جنبلاط (المجلد 2)، بيروت: المكتبة الحديثة.
- جنبلاط، كمال (1960): في مجرى السياسة اللبنانية أوضاع وتخطيط، بيروت: دار الطليعة.
- جنبلاط، كمال (31 12، 1965): ولادة طفل، صحيفة الأنباء.1 ،
- جنبلاط، كمال (1967): ثورة في عالم الإنسان، بيروت: دار صادر.
- جنبلاط، كمال (1978): حقيقة الثورة اللبنانية. ب د.

- جنبلاط، كمال (1978): فيما يتعدى الحرف، بيروت.
- جنبلاط، كمال (1978): هذه وصيتي، بيروت: مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر.
- جنبلاط، كمال (1987): أضواء على حقيقة القومية الاجتماعية السورية، بيروت: الدار التقدمية.
- جنبلاط، كمال (1987): ربع قرن من النضال في لبنان، المختارة: الدار التقدمية.
- جنبلاط، كمال (1987): نحو اشتراكية أكثر إنسانية (المجلد ط2)، (رودلف القارح، المترجمون) المختارة، لبنان: الدار التقدمية.
- مجلة الطريق (1976): الأعداد 1-8.
- بيهم، محمد جميل (ب.ت): لبنان بين مشرق ومغرب، بيروت: ب ط.
- الشمري، محمد سكير (2008): الحياة النيابية في لبنان 1944-1968، بغداد: معهد التاريخ العربي والتراث العلمي: أطروحة دكتوراه غير منشورة .
- المقدم، نبيل (2016): وجوه وأسرار من الحرب اللبنانية، بيروت: دار نلسن.
- هادي، نبيل (1987): كمال جنبلاط التحدي الكبير، لبنان المختارة: المركز الوطني للمعلومات والدراسات، الدار التقدمية.
- كوبان، هيلينا (1985): لبنان 400 سنة من الطائفية، (سمير عطا الله، المترجمون) لندن: منشورات هاي لايت.
- السودا، يوسف (1966): في سبيل الاستقلال، بيروت.
- صعب، يوسف (1977): كمال بك جنبلاط وأسرته في التاريخ، مجلة الرسالة المخلصية.
- Wilbur Crame Eveland :(1952) *Ropes Of Sand.* New York.